آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله

# نظرة إسلامية حول الغدير



دار الملاك

الطبعة الثالثة
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

ISBN 9953-60-030-9



دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ قرب مستشفى الساحل ـ هاتف: ٠٣/٧٥٥٢٠٠ ـ ٠١/٤٥٠٧٦٩

ص. ب ١٥٨/ ٢٥ الغبيري ـ Int: WWW. dar-almalak. com/Email: dam @ dar-almalak.com

آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله

# نظرة إسلامية حول الغدير

دار الملاك


بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

## وسلامٌ على عباده الذين اصطفى

**وبعد...**

فقد أفرز الواقع المعاصر في فهمه لقضايا التاريخ، وحركته في الواقع السياسي، الكثير من الاشكالات التي تحتاج إلى الاجابة عليها بأسلوب جديد يتناسب مع مختلف التطورات الاجتماعية والسياسية.

وبهذا الصدد يهمنا أن نشير إلى فكرة كان ـ وما زال ـ العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله يطرحها في أكثر من مجال، وهي أن علينا أن نطوّر أسلوبنا في طرح الإسلام، وفي فهم قضاياه، حيث خال الكثيرون أنه يدعو إلى إخضاع الإسلام للحداثة من دون أساس، ولكن سماحته كان يطلق طرحه هذا من خلال مفهوم الاجتهاد بأصالته وحيويته الذي يفرض أن يتم البحث والتحقيق من خلال ما يفهمه المجتهد اعتماداً على القواعد الاجتهادية، لا أن ينطلق من

خلال تقديس فكر الماضين مما لا يقبل القداسة، حيث إن العلماء السابقين لهم فكرهم الذي يُحترم بمناقشته، لا بالخضوع له من دون حجة أو برهان. . هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فهناك تطوير أسلوب طرح الفكرة الإسلامية، وذلك على أساس ما تقتضيه الحكمة من وضع الشيء في موضعه، والبلاغة من أنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ لأن الإنسان المعاصر أصبح يفكر بطريقة مختلفة عن الماضي ويحتاج إلى أن يفهم الإسلام بأدوات تفكيره، لأن الذهنية لغة ـ كما يقول العلامة المرجع ـ، ولذا فلا تستطيع أن تخاطب ذهنية هذا الإنسان إلا باللغة التي يفهمها، والمفردات التي يتصورها.

كما أنّه، وبحسب المنهج العلمي، لا تستطيع أن تناقش أي فكرٍ ما لم يتفق معك على أرضٍ ثابتة تشكل نقطة البداية للحوار، وإلا فإن الحوار سيكون عقيماً، حيث إن القاعدة الفكرية التي تنطلق منها لبناء قناعاتك لا يلتزم بها الطرف الآخر.

وعلى هذا الاساس كان ـ وما يزال ـ سماحة العلامة المرجع يطرح قضايا أهل البيت عليهم السلام باللغة التي يفهمها الإنسان المعاصر، والتي يشعر معها بأن أهل البيت عليهم السلام هم قدوته في الإسلام، والأخلاق، والسياسة والاجتماع وما إلى ذلك، الأمر الذي يجعله يشعر بالاكتفاء ـ إسلامياً ـ من خلال النماذج الطاهرة الأصلية التي يمثلها أهل البيت عليهم السلام.

ويأتـي هذا البحث في هذا السياق، حيث طرح سماحته مسألة ولاية الإمـام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بصـورة مشرقـة، ذات ملامح تلتقي بأصالة الفكرة في انطلاقتها في التاريخ وبمفردات الواقع المعاصر في الحركة الاجتماعية والسياسية، حيث يلاحظ القارىء أن كثيراً مما جرى في التاريخ هو ما يجري في عالمه المعاصر، فيفهم المسألة بواقعيتها، ويجاب من خلال ذلك على الاشكالات التي يمكن أن تثار هنا وهناك.

ونشيـر إلـى أن سماحته ـ من خلال ما قرأنا ـ لاحظ أن طريقة طرح مسألة الولاية كانت تتم فقط على أساس الاثبات السندي لنص «الغـديـر» ومـا يـدور حوله النقاش في بعض الدلالات، وفي الوقت الذي أكد فيه سماحته على هذا المنطلق، لأن «مسألة إسلامية أي فكرة ـ ومنها الولاية ـ. لا بد أن يكون أساسها النص»، حاول أن يبين أن هذا النص الذي عُيِّنَ فيه عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خليفة للمسلمين لم ينطلق من الفراغ، بل كـان هو السياق الطبيعي لمسيرة حياة عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بل هو الحق الحصري له من بين كل الصحابة.

وتكمن أهمية هذا الطرح أنه يبرز مسألة الولاية على مستويين:

**الأول**: على مستوى النص الشرعي المتمثل بحديث الغدير.

**الثاني**: علـى مستـوى الـدراسة الواقعية لعناصر شخصية الإمام علـي عَلَيْهِ السَّلَامُ وطبيعـة خلافة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والذي أوضح سماحته أنها تختلـف عـن أية خلافة، الأمر الذي يفرض أن تتوفر عناصر شخصية معينة لا بد أن يُبحث عن الشخص الذي تتوفر فيه.

ونترك للقارىء الكريم تتبُّع مفردات هذا الطرح الجديد في أسلوبه، والذي يجعلنا نشعر أن التاريخ بين أيدينا يحاكينا ونحاكيه. ويفهمه كلٌّ منّا بأدوات تفكيره واختلاف مصطلحاته.

ونلفت القراء الأعزّاء إلى أن هذا البحث عبارة عن محاضرتين القاهما سماحته في ندوته الأسبوعية في دمشق، عمدنا إلى جمعهما وتنسيق موادّهما بشكل بحث متدرج الأفكار، موحّد السياق، هدفاً منّا إلى إبراز طرح سماحته الذي نعتبره جديداً ـ كما عوّدنا ـ وجديراً بالتأمل والملاحظة. والله من وراء القصد

الناشر

# تصدير

مما لا شكّ فيه أن مسألة الغدير، بكلّ إيحاءاتها وإشاراتها، تركت آثارها العميقة في الكيان الإسلامي العام، حيث استطاعت ـ في كل تفاعلاتها وكل المواقف السلبية والإيجابية منها ـ أن تختصر كل التاريخ الإسلامي في حركة التنوّع والأختلاف والصراع.

ومن هنا فإنّنا لا نملك أن نقف منها موقفاً هامشيّاً، لأنّها تظلّ تفرض نفسها علينا، تماماً ككل قضيّة من قضايا التاريخ التي تلقي بظلالها على الحاضر والمستقبل.

نعم، لا بدّ لنا من إبعاد المسألة عن العصبيّة المذهبية أو الطائفيّة، وأن تتم دراستها بطريقة موضوعية علميّة، في عناصرها الداخليّة، وفي الظروف المحيطة بها، في كل امتداد الواقع الإسلامي التاريخي، ومن خلال أنّها تمثّل نقطة من تاريخ الإسلام الذي لا بدّ لنا من دراسته وكشف النقاب عنه بكل تفاصيله.

وبغض النظر عن ذلك، فإن مسألة الغدير هي من المسائل المهمة التي يفرض البحث العلمي، أن يتمّ تناولها ـ بعلمية وموضوعية، وذلك لأنّ هناك تضافراً للروايات قد يبلغ حدّ التواتر، حيث يذكر العلاّمة الأميني في استقصاء علمي دقيق أن مائة وعشرة من

الصحابة قد رووا حديث الغدير بطريق مختلفة، وكذلك الأمر في التابعين.

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث زيد بن أرقم قال: «نزلنا مع رسول الله ﷺ بوادٍ يُقال له: «وادي خم»، فأمر بالصلاة فصلاّها بهجير، قال: فخطبنا، وظلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال: ألستم تعلمون؟ أولستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه»[1].

وأخرج الحاكم في مناقب علي من مستدركه عن زيد بن أرقم من طريقين صحّحهما على شرط الشيخين، وفيه: «وإني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: إن الله عزّ وجلّ مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[2] وقد روي هذا الحديث بنفس المضمون في مصادر عدة، كالطبراني الذي أخرجه بسند مجمع على صحته، والنسائي وغيرهما. . .

وهذا الحديث متواتر عندنا، بل قد صرّح البعض من أهل السنّة بتواتره، كما نقل السيد عبد الحسين شرف الدين في مراجعاته عن

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٤، ص٣٧٢. نقلاً عن المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين.

(٢) المستدرك، الحاكم: ج٣، ص١٠٩. نقلاً عن المراجعات، المصدر السابق.

بعضهم، فقال: «وصاحب الفتاوي الحامدية ـ على تعنّته ـ يصرّح بتواتر الحديث في رسالته المختصرة الموسومة بالصلوات الفاخرة في الأحاديث المتواترة»، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسيوطي وأمثاله من الحفاظ ينصّون على ذلك، ودونك محمد بن جرير صاحب التفسير والتاريخ المشهورين، وأحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، فإنهم تصدّوا لطرقه، فأفرد كل منه كتاباً على حدة وقد أخرجه ابن جرير في كتابه من خمسة وسبعين طريقاً، وأخرجه ابن عقده في كتابه من مئة وخمسة طرق، والذهبي ـ على تشدده ـ صحّح كثيراً من طرقه. . .»[1].

ولهذا ذكرنا أن الكثير من إخواننا السنّة يناقشون في دلالة حديث الغدير ولا يناقشون في السند، وليس ذلك إلا لأن هذا الحديث هو من الأحاديث المروية بشكل مكثّف من السنة والشيعة معاً.

## لماذا الغدير

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو: لماذا كان الغدير؟ ولماذا عليّ دون غيره؟

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[2] حيث نعتقد أنها نزلت

---

(١) المراجعات، ص٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

في علي عليه السلام، وهذا ما يؤكده جوّ الآية وسياقها، إضافة إلى أسباب النزول، حيث توحي بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بلّغ الكثير من الرسالة، أو بلّغ كل تفاصيلها، ولذا فما ذكره بعض المفسرين من أن الأولى حمل معنى الآية «على أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم»[1]، وغير ذلك، أكثره لا يتناسب مع جوّ الآية الذي يوحي بأن هناك أمراً مهماً يتعلق بسلامة الرسالة بحيث يعادل الامتناع عن تبليغه الامتناع عن تبليغ الرسالة من الأساس، هذا مضافاً إلى أن مسألة الهيبة من اليهود والنصارى وقريش منافية لموقفه الصلب في أداء الرسالة منذ عهد الدعوة وحتى مرحلة الهجرة التي نزلت الآية في آخرها.. وعلى ما قدمناه يصبح كون الآية نزلت في ولاية علي عليه السلام أمراً واضحاً، وذلك لأن قرب علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ناحية النسب والمصاهرة يفتح المجال للكثير من أقاويل السوء التي تربط الموقف بالعاطفة في قضية الولاية، مما يحتاج إلى الدفاع الإلهي الذي يتمثل في عصمة الله له عن ذلك كله.

وعلى ضوء ذلك كله نفهم أن المتعيّن هو تفسير كلمة «المولى» في حديث الغدير بالولاية في خط القيادة، وبقرينة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، وهو يعني أنّه أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن يثبت لعليّ ما هو ثابت لنفسه مما أخذ اعترافهم به، وهو كناية عن القيادة لا المحبة والنصرة كما يذهب إليه بعض المفسرين، هذا من جهة.

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج١٢، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ص٥٠.

ومن جهة أخرى نلاحظ أن اعلان مودّة علي وصحبة الناس له ـ بناءً على من فسّر الولاية بالمحبة والنصرة ـ لا تحمل أيّ أساس للنقد وللكلام غير المسؤول من الناس، ليكون ذلك سبباً في الحديث عن عصمة الله له منه[1].

وللإجابة على التساؤل لماذا الغدير؟ ولماذا علي دون غيره؟ نقول:

هـذا الأمر يتطلب أن نبحث أولاً في طبيعة المنصب، أي ما هو الدور الذي يجب أن يلعبه خليفة النبي ﷺ؟ وما هي الصفات التي يجب أن يتحلى بها الخليفة؟ ثم بعد ذلك نبحث في المسلمين عن الشخص الذي تتوفّر فيه هذه الصفات، والتي تمكنه من الإضطلاع بالمهمّة.

---

(١) يتعرض سماحته فيما بعد إلى أن حبَّ عليّ عليه السلام يفرض نفسه على كل صاحب نفس إنسانية فضلاً عن المؤمنين، ولا يحتاج إلى تدخل مباشر من النبي ﷺ، كما أنه ﷺ لا ينطلق إلا من خلال ما تقتضيه الرسالة الإسلامية، لا من هوىٰ الذات. .

## دور الرسول في حركة الرسالة

ليس دور الرسول هو مجرد نقل رسالة الله عزّ وجلّ إلى الناس، ليكون أشبه بساعي بريد ينقل رسالة من دون أن تكون هناك حركة متبادلة في التأثير بين الرسول والرسالة في حركة الدعوة، وهذا ما نستوحيه من خلال قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] حيث نفهم أن دور الرسول هو تحريك المفاهيم الإسلامية في عملية تغيير الواقع الداخلي للنفسية العامة للأمة، وهذا ما توحي به كلمة «التزكية»، وبالإضافة إلى ذلك فإن له دور تعليم الأمة خط النظرية الإسلامية، على صعيد المنهج والمضمون، وخط التطبيق العملي للنظرية على أرض الواقع، مما يجعل العلم منفتحاً على حركة الواقع في حياة الإنسان، ويجعل الواقع منفتحاً على الكتاب، من خلال المفاهيم القرآنية التي تدخل الروح في المضمون المادي فيترّوح، وتدخل الحس في المضمون الروحي فلا يعيش في عالم التجريد بعيداً عن الواقع وعالم الحس.

ومن هنا نحن نفهم أن شخصية النبي لا تنطلق على أساس تمثيل

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

الرسالةَ في الكلمة فقط، بل إن الرسول يجسّد رسالته في الموقف والواقع العملي، فيرى الناس صورة القيمة الإسلامية في الواقع كما يسمعونها في الكلمة. . .

ولذلك فقد كان رسول الله ﷺ إسلاماً يتحرك على الأرض، فيفهم المسلمون الدعوة في سلوكه بعد أن يسمعوها في قوله، مما يوحي لهم بأنها ليست فكراً مثالياً يعيش في عالم المثال وفي آفاق الخيال، بل هي فكر متجسّد في الواقع العملي من خلال شخصية الداعية.

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم قدّم لنا الرسول على أنه القدوة فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١] حيث كان يشدّهم هذا الخطاب إلى صورة النبي ﷺ التي تمثل النموذج الأعلى للإنسان الرسالي المسلم، ليتحركوا على أساسها.

ولذلك فإن الإسلام لم ينطلق ويتحرك من خلال كلمات الرسالة فيما بلغه رسول الله ﷺ للناس فقط، بل ومن خلال التجسيد العملي للرسالة في أرض الواقع فيما كان يمثله رسول الله ﷺ. . فانطلق الإسلام من خلال عقله وقلبه وأسلوبه ونهجه وأخلاقه ودعوته، وقد شكّل الرسول الأكرم ﷺ بذلك العنصر المكمّل للقرآن الكريم، لأنَّ رسول الله ﷺ كان هو القرآن الناطق، القرآن المتحرّك في الواقع،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

حيث كان المسلمون عندما تنزل الآية من القرآن يجدون تجسيد الآية عملياً في النبي ﷺ.

ولذلك نقول: لو أن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب إلى الناس من دون أن يكون هناك شخصٌ يجسّد مضمون هذا الكتاب لما استطاع أن يجتذب أحداً، لأن الناس كما يحتاجون إلى الكتاب الصامت، فإنّهم يحتاجون إلى الكتاب الناطق العملي المتحرّك، وهذا هو معنى الأسوة الذي كان يمثله النبي ﷺ.

## طبيعة الخلافة:

من خلال ما تقدم نقول: إنَّ لخلافة النبيّ ﷺ معنًى يختلف عن أية خلافة أخرى، إذ ليست قضيّة الخلافة هنا هي قضيّة شخصٍ يُراد له أن يقود عشيرة من العشائر، أو أن يكون حاكماً إدارياً، كما هو طابع الحكم اليوم، بل إن خلافة النبي ﷺ تحتاج إلى شخصٍ يكمل دور النبي، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسوله بهذا الدِّين من أجل أن يُدخل الإسلام في عقول الناس، وفي قلوبهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، فلا بد لخليفته أن يقوم بنفس الدور، وذلك بأن يحمل في عقله عقل رسول الله، وفي قلبه روح رسول الله، وفي حركته حركة رسول الله في المنهج والمضمون.

وهنا قد تسأل: إذا كان رسول الله ﷺ قد أكمل الرسالة، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[1]، أو في قوله ﷺ: «إنّه ما من شيء يقرّبكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وأمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلا ونهيتكم عنه»[2]، عند ذلك فما الحاجة إلى شخص يملك عناصر شخصيّة النبي بهذا المعنى؟

وللجواب عن ذلك لا بدّ لنا من أن نتعرّف طبيعة المرحلة في عهد رسول الله ﷺ وحتى وفاته، لأن ذلك هو الذي يلقي الضوء على طبيعة الحاجات التي تفرضها الظروف بعد رسول الله فيما يتصل بحركة الدعوة الإسلامية في الواقع.

كانت الخطّة الإسلامية في بداية حركة الدعوة هي أن يتم تحييد الناس عن الشرك، من أجل إدخالهم في المجتمع الإسلامي حتى يتنفّسوا الإسلام، ثم لتبدأ بعد ذلك عملية تجذيره في نفوسهم، فكان الشعار: «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله حقن بها ماله ودمه وعرضه»، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك في كتابه، فقال: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ﴾[3]. ولكن الحروب والمشاكل الداخلية التي عاشتها الدولة الإسلامية الوليدة في المدينة من خلال المنافقين واليهود قد شغلت برنامجه في تعميق الإسلام في النفوس عن أن يتحرّك في الواقع؛ كما إن حركة الإسلام بعد النبي ﷺ فيما قام به من تقدّم على

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٢، ص٧٤، رواية ٢.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

عليّ عليه السلام في موقع الخلافة لم تستطع أن تكمل المشروع، في الوقت الذي استطاعت فيه أن تمتد بالإسلام في العالم، ولكنّه امتدادٌ على السطح، في حين أن الواقع كان بحاجة إلى الإمتداد في العمق، هذه الحاجة التي لمسناها من خلال التحديّات الفكرية والثقافية التي وقفت في وجه الواقع الإسلامي آنذاك، سواء من الداخل فيما يتصل بحركة التشريع، أو من الخارج فيما أثاره الكافرون من شبهات تحتاج إلى من يردّ عليها.

ولذلك فنحن نقول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استطاع أن يبلّغ الرسالة للناس، ولكنّه لم يستطع أن يكمل برنامجه العملي في حركة الرسالة في الواقع، فكان يحتاج الأمر إلى من يقوم بهذه المهمّة من بعده.

## من هو المؤهّل؟

وعلى هـذا الأسـاس فـلا بـد أن يتم التفتيش بين المسلمين عن الشخصيّـة التـي تستطيـع مـلء الفـراغ بعـد رسول الله ﷺ وتنطلق بـالإسـلام فـي امتـداد العمـق؛ ولا نـجـد غيـرَ علـيّ عليه السلام فـي هذا المجال.

والسبب فـي ذلـك أننـا عنـدمـا نـدرس عليّاً بكلّـه فـي عناصر شخصيّته وفي حركته، فإنّنا نجد أنّه وحده المؤهّل لخلافة النبي ﷺ والقيام بدوره، وهذا ما نثيره من خلال العناوين التالية:

### أ ـ البيئة الإسلامية:

إن كل المسلمين الذين دخلوا في الإسلام على يدي رسول الله ﷺ كانوا قد عاشوا في بيئة الشركـ ـ بطريقة وبأخرى ـ قبل أن يُسلموا، وقد تأثّروا بالكثير من مفاهيمها بحيث أصبحت هذه المفاهيم تشكّل بعض الرواسب الخفيّة في داخل نفوسهم، الأمر الذي لا يمنع أن يكـونـوا مخلصيـن للإسـلام، ولكن يمنع أن تكون شخصيّاتهم مجسّدة للإسلام بكل أبعاده وخصوصيّاته.

أمّا عليٌّ عليه السلام فإنّه لم يعش في أيّة بيئة غير البيئة الإسلامية التي كفلها له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تولّى صلى الله عليه وآله وسلم تربيته بعد أن اختاره من بين أخوته لعمّه أبي طالب، واحتضنه قبل أن يُبعث رسولاً، وأعطاه روحانيته وآفاقه وأخلاقه، ولعلّ عليّاً عليه السلام هو أفضل من يعبّر عن تلك المرحلة، حيث جاء في «نهج البلاغة» وهو يتحدّث عن نفسه: «ولقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطئة في فعل. ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم والمحاسن ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجتمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال هذا الشيطان قد آيس من عباده، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبي، ولكنك وزير وإنك لعلى خير»[1].

وقد انطبعت شخصيّة عليّ عليه السلام بشخصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك كان عنوان عليّ عليه السلام صفتي الصدق والأمانة، كما هما

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

عنوان رسول الله ﷺ، وهذا ما جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام، وقد قال له أحد أصحابه: «علّمني شيئاً أبلغ به الحظوة عندك»، فقال عليه السلام: «أنظر إلى ما بلغ به عليّ من الحظوة عند رسول الله فافعل، فإنّه بلغ ذلك بالصدق والأمانة»، وكان عليّ يتعلّم من رسول الله أن يتأمّل كما كان ﷺ يتأمّل، وأن يتعبّد كما كان يتعبّد، وقد كان عليّ عليه السلام تلميذاً رائعاً وبارّاً، حيث يقول: «كنت أتبعه اتباع الفصل أثر أمه»، فالفصيل لا يبتعد عن أمّه، وإنما يخطو بخطواتها، وكان علي يقتفي أثر رسول الله ﷺ اتّباعاً في الفكر والتأمل والروح والخُلق والعادات والسلوك.

## ب ـ الطفولة الواعية:

ونستطيع أن نقول بأن طفولة علي عليه السلام كانت طفولة واعية منفتحة، وهي من صنع رسول الله ﷺ، ولذلك لم يؤمن، عندما دعاه النبي ﷺ للإيمان، إيمان الأطفال، كما يحاول بعض المؤرّخين أن يصوّر المسألة ليقول بأن أوّل من آمن من الأطفال عليّ، لأن طفولة الطفل ليست طفولة سنّه، وإنما هي طفولة وعيه، وإنّ من الأطفال من هم رجال في عقولهم ووَعيهم، وهناك من الشيوخ من هم أطفال في عقولهم ووعيهم، ولذلك فإن الطفولة الجسدية لا تستلزم دائماً الطفولة العقلية، وطفولة عليّ كانت طفولة واعية عاقلة شابّة، فإن المعلّم رسولُ الله، وما أعظمه من معلّم!.

ولذلك نجد أن بعض رواة السيرة ينقلون أن علياً سُئل عندما

استجاب لدعوة النبي له بالإسلام، ولم يكن عليّ عليه السلام بعيداً عن الإسلام، فقد كان الإسلام في عقله معنًى قبل أن يكون الإسلام ديناً بمعنى الإنتماء، لأن الإسلام كان في عقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروحه وإحساسه وشعوره قبل أن يُبعث.. ينقل هؤلاء الرواة أن عليّاً سئل: «هل استشرت أباك عندما آمنت؟»، وينقلون إجابته: «إن الله لم يستشر أبي عندما خلقني»، وهذه الرواية ـ على فرض صحّتها ـ شاهدٌ على وعي عليّ للمسألة الإيمانية في أبعادها الفكرية والروحية.

وقد بقي عليّ عليه السلام ملازماً لرسول الله عليه السلام، وقد كان عليّ يقول وهو يتحدّث عن بدايات الدعوة: «ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما»، ولم يكن الرابط بين أفراد هذا البيت هو المسألة العائلية، بل المسألة الإسلامية، ولذلك يتابع عليّ عليه السلام قوله: «... وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشُمُّ ريح النبوّة»[1]، هذه المسألة الإسلامية التي يتحمّل الجميع مسؤوليّاتها: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة، وخديجة(رض) بمالها ورعايتها للنبي، وعليٌّ عليه السلام بإعداد قوّته ليشهر سيفه دفاعاً عن الإسلام، وعقله دفاعاً عن الحق، وحركته في الخط الذي انطلق منه وليه.

وقد استمر البيت الرسالي الأول في البيت الثاني الذي كان يجمع عليّاً عليه السلام وفاطمة بنت رسول الله، حيث كان هذا البيت هو

---

(١) نهج البلاغة، المصدر السابق.

بيت رسول الله، وقد كان يأتي بيتَ عليّ وفاطمة عليهما السلام قبل أن يأتي بيوت أزواجه عندما يكون في سفر، لأن هذا البيت مليء بأجواء رسالية عابقة بالإيمان والأخلاق.

## ج ـ حركية الجهاد:

كانت أولى المحطات الأساسية في جهاد علي عليه السلام في حركة الدعوة الإسلامية مبيته على فراش النبيّ ليلة الهجرة، وكان ذلك دليلاً صادقاً على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أكبر همّه، رسول الله الرسالة والخط، ولذلك فعندما كلّفه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك لم يحدّثه عليّ عن سلامته الشخصية كشابّ في مقتبل العمر، بل سأله «أوَ تسلم يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال عليّ عليه السلام: «إذهب راشداً مهديّاً». حتى أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[1] وهو يقدم لنا النموذج للإنسان الرسالي الذي يشعر أنّه لا يملك نفسه، ولا يرىٰ لها حرّية بعيداً عن إرادة الله وطاعته، فيعيش رسالته في كل مظهر لحركة الحياة من حوله، ويعيش حياته من أجل الرسالة في الخط المستقيم، فلا ينحرف أمام كل محاولات الإغراء، ولا يستسلم لكل عوامل الضغط، بل يظلّ في الموقع الصلب فيما تفرضه مرضاة الله سبحانه وتعالى.

ثم كان المجاهد في كل مواقع الجهاد، في بدر وأُحُد والأحزاب وحنين وخيبر، وقد جعلته كل هذه المعارك والتجارب

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

الحربية في الصدارة، فكان له ما لم يكن لغيره فيها من النتائج الكبيرة التي أعطت الفتح للإسلام والمسلمين، وقد كان يتحدّث النبي ﷺ عن جهاده في مواطن شتّى، فنقرأ في معركة الخندق «برز الإيمان كلّه إلى الكفر كلّه»[1]، ونقرأ ـ ما مضمونه ـ: «ضربة عليّ يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين»[2] ونقرأ: في فتح خيبر: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه»[3]، الأمر الذي يدل على أن رسول الله ﷺ كان يؤكّد على دور عليّ الطليعي والكبير في عمليّة النصر.

ومع كل ذلك كان عليٌّ هو الإنسان الرسالي في حربه كما في سلمه، فلم تكن الحرب عنده تمثل مزاجاً ذاتياً، لأن مزاج عليّ انطبع بمزاج الإسلام، وهذا ما نجده في موقفه في معركة «صفين»، وقد مضى عدّة أيام على مرابطة الجيش فيها، ولم يأذن عليٌّ له بالقتال، فبدأ العسكر يهمس بعضه لبعض... لقد جاء بنا عليٌّ لنحارب... لماذا أبطأ في ذهنه للقتال؟ أكان ذلك كراهية للموت أو كان شكاً في أهل الشام؟... فوقف فيهم خطيباً وقال: «أما قولكم أن ذلك كان كراهية للموت، فوالله ما أبالي دخلتُ إلى الموت أو خرج الموت إلي، وأما قولكم شكّاً في أهل الشام، فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٠، ص٢١٥، باب ١٧، رواية ٢.

(٢) ذكر هذا المعنى بألفاظ متعددة، واختلافات بسيطة، راجع ما ذكره السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة، ج١، ص٢٦٤.

(٣) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٨، ص٣٥١، رواية ٥٤٨.

وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا إلى ضوئي، وذلك أحبُّ إلي في أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها»[1].

وفي هذه الواقعة تبرز عظمة القائد في شخص عليّ عليه السلام، حيث لم يتعقد من الكلمات السلبية من بعض أتباعه، أو من التشكيك الذي قد يجول في أذهانهم، بل كان يسمعهم بسعة صدر، ويجيب بوعي الرسالة، لأن صاحب الرسالة يختلف عن صاحب الذات، فصاحب الذات يريد الناس لنفسه، وصاحب الرسالة يريدهم لرسالته، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «ليس أمري وأمركم واحداً، إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم»[2].

## د ـ حديث النبيّ صلى الله عليه وآله عن عليّ عليه السلام:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتحدّث عن أحدٍ كما تحدث عن عليّ عليه السلام، وذلك في كل ما رواه المسلمون من أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقد نقل المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[3]، ونقلوا عنه صلى الله عليه وآله: «عليّ مع الحق والحق مع عليّ

(1) نهج البلاغة من كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفّين، خ٥٥.

(2) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام في أمر البيعة، تحت رقم ١٣٦.

(3) العلامة الجلي، بحار الأنوار، ج١٠، ص١٢٠، باب٨، ح١.

يـدور معـه حيثما دار»[1]، وقوله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي»[2]، ومنزلة هارون من موسى هي ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾[3]..

والسؤال هنا: هل المسألة عاطفيّة لأنّه ربّاه منذ الصغر؟ أو هل هي مسألة القرابة حيث كان عليّ ابن عمّ النبي؟

أو هل أراد رسول الله من خلال حديثه أن يحبّ المسلمون علياً في الجانب العاطفي؟ وهل اطلق رسول الله ذلك من دون أن يكون هناك هدف كبير يرتبط بالإسلام كله في امتداداته ورسالتيه؟

إن المسألة ليست مسألة قرابة، وذلك لأن القرآن الكريم ألغى حساب القرابة في مسألة الموقع والقيمة، فقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن أبي لهب، عمّ النبي، في الوقت الذي لم يتحدث فيه عن أبي جهل، وقد ذكر تعالى في كتابه المجيد قوله عزّ وجلّ ردًّا على تساؤل إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، وفي قوله لنوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[5]. ولذلك فمجرد القرابة في الرحم، أو في السبب، لا تصلح

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠، ص٤٢٢، باب ٢٦، ح١٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٢٢٦، باب ٢٩، رواية ٣.
(٣) سورة طه، الآية: ٢٩ - ٣٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٥) سورة هود، الآية: ٤٦.

أن تكون أساساً للموقع، بل لا بد أن تنطلق من خلال أسس واقعية فيما تفرضه حركة القيمة في الواقع.

ولذلك فإن حديث النبي ﷺ عن عليّ عليه السلام لم ينطلق من هوى شخصي عاطفي، أو مراعاة لقرابته منه، بل على أساس أن هواه هو هوى رسالته وخطّه وإخلاصه وانفتاحه على كل ما يرضاه الله سبحانه وتعالى؛ وذلك على أساس قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

ثم إن مسألة أن يدخل عليّ في قلوب المسلمين لا تتطلّب كل هذا الجهد، فعليّ يفرض حبّه على كل من عرفه، سواء كان شيعياً أو سنيّاً أو حتى مسيحياً أو غير ذلك، لأنّك لا تملك إذا تطلّعت إلى عليّ في جميع آفاقه الروحية وإخلاصه وجهاده وعلمه إلا أن تخشع أمام هذه الشخصية، ولذا قال الشاعر المسيحي بولس سلامة:

يا سماء اشهدي ويا أرض قرّي
واخشعي إنني ذكرتُ عليّا

فإذا كنت تملك عقلاً منفتحاً، وقلباً واسعاً، ووعياً للإنسانية، فإنّك لا تملك إلا أن تحبّ عليّاً، وهذا لا يحتاج إلى آية قرآنية، أو وصيّة نبوية؛ ومن هنا نحن نقول بأن النبيّ ﷺ لم يكن يريد للمسلمين أن يحبّوا عليّاً لغرض عاطفي، لأن الذين في قلوبهم مرضٌ لا يحبّون رسول الله، بل ولا يحبّون الله، وأمّا من كان سليم

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣، ٤.

القلب، فلا بدّ أن يتّجه نحو الحقيقة الصافية والعاطفة المخلصة. ولذا نفهم أن رسول الله ﷺ كان يريد أن يعدّ عليّاً في عقول المسلمين من خلال أنه الشخص الذي يملك العلم كلّه، والذي ارتبط به الحق ارتباطاً عضوياً، بحيث لا يمكن أن تجد أية ثغرة بين الحق وعليّ، مما يجعله تجسيداً للحق، فكما يمكنك أن تنظر صورة الحق الفكرية بعقلك، كذلك يمكنك أن تنظر صورة الحق العملية متمثّلة بعلي عليه السلام.

## هـ ـ حقانية عليّ على أرض الواقع:

لم يكن عنوان الحق الذي طرحه النبي ﷺ بالنسبة لعليّ عليه السلام مجرد عنوان وشعار، بل يمكنك أنه ترى تجسيد ذلك كله في كل كلمة وكل حركة، سواءً كان داخل الحكم أو كان خارجه..

ينقل المؤرخون أن عمر بن الخطاب قال في حقّ علي عليه السلام وهو يتحدث عن الشورى: «لو وليها عليّ لحملهم على المحجة البيضاء».. ولعل سرّ المشاكل التي واجهت علياً عليه السلام في خلافته أنه لم يكن حاكماً تقليدياً، بل كان حاكماً رسالياً، يريد للإسلام أن يتعمق تجربة في حياة الأمة، ولذلك رفض كل الأساليب السياسية الملتوية التي تنحرف عن الخط الإسلامي الواضح، مما كان يريد من حوله أن يأخذ بأسبابه، في مواجهة معاوية، ولذا قال: «قد يرى الحوّل القُلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي

عين بعد القدرة وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[1]، لأن هذه الحيلة تمثل الحيلة في خط الباطل، وكان يقول: «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس...»[2].

وقد قال لمن قال له: بيت المال بيدك، أعطِ منه لهؤلاء ـ أي لرؤساء العشائر ـ حتى يثبتوا حكمك، قال لهم: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُليت عليه والله لا أطور به ما سمر سمير وما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً، لو كان المال لي لسوّيت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله؟»[3].

ولكي ندخل إلى عمق ذلك لا بد لنا من معرفة عمق مسألة الحكم عند الإمام علي عليه السلام..

لم يكن الحكم عند علي عليه السلام مسألة شهوة، بل إن الحكم ينطلق من عمق القضية الرسالية التي عاشها علي عليه السلام في قلبه وعقله وحركته، وليس الحكم والسلطة أكثر من وسيلة يحرك من خلالها الحق في حياة الأمة، ويدفع من خلالها الباطل، وينشر فيها الإسلام في كل فكره وثقافته وصفائه... وهذا ما ينقله لنا ابن عباس بقوله: «دخلتُ على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة له، فقال: والله لهي أحبُّ إليّ

---

(1) شرح نهج البلاغة، م. سابق، ج٢، باب: ٤١، ص٣١٢.
(2) م.ن.ج: ١٠، باب: ١٩٣، ص٢١١.
(3) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء، خ١٢٦.

من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»[1]، وقد كان يناجي ربّه، وهو يشير إلى الصراع الذي كان يدور بينه وبين من جحدوه حقه وموقعه: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»[2]، فتحقيق كل ذلك لا يتم من خلال كلمات تعظُ بها الناس، بل هو خطة تتصل بالإقتصاد والسياسة والاجتماع والأمن وغير ذلك...

ويوضح علي كل ذلك بقوله، وهو يعبّر عن عمق الألم الروحي والرسالي الذي كان يعانيه مع كل الواقع الذي لم يكن يفهمه جيداً: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[3]؛ هذا في جانب عليّ عليه السلام.

وفي الجانب الآخر كانت تتجه مسألة الحكم اتجاهاً بعيداً عن الإسلام، وكأن الواقع الإسلامي لم يعرف من الإسلام حرفاً ولا طرفاً، وذلك ما عبّرت عنه كلمات المجتمعين في السقيفة

(١) نهج البلاغة، من كلامه وله عند خروجه لقتال أهل البصرة مع ابن عباس، رقم ٣٣.
(٢) نهج البلاغة، من كلام له يبين فيه سبب طلب الحكم، رقم (٢).
(٣) نهج البلاغة، من خطبته المعروفة بالشقشقية، رقم (٣).

في قولهم: «منا أمير ومنكم أمير»، هذا المنطق الذي لو درسناه بعيداً عن كل الحساسيات المذهبية ـ ولسنا في مقام إثارتها، بل في مقام التحليل والتفكير بصوتٍ علمي موضوعي ـ هذا المنطق يجعلنا نتساءل: ما هو أساس الإمرة؟ هل هو أساس تقسيم المسألة بين المهاجرين والأنصار؟!

وممّا يبعث على الدهشة والتساؤل في آنٍ أنه لنفرض أن علياً عليه السلام لم يكن هو المتعيّن للخلافة بنص الغدير، فعلى الأقل هو أحد الأشخاص البارزين في الصحبة والقرابة والجهاد والعلم، بل هو الأبرز، فهل من المعقول أن يتم حسم مسألة الخلافة من دون أن يُلتمس رأيُ علي عليه السلام في ذلك؟!

ثم لو أردنا أن نفلسف مسألة السقيفة على أساس الشورى، فهل إن ما جرى في السقيفة يمثل شورى حقيقية؟! وبعبارة أوضح نقول: لو أن أحداً في كل العالم المعاصر حاول أن يتحرك سياسياً بطريقة الشورى في مسألة الحكم، أو غيرها، وقد تم طرح شخص على أنه المؤهل لقيادة الأمة، ولخلافه النبي، بالطريقة التي جرت في سقيفة بني ساعدة، فهل يوافق على مثل هذه الشورى؟![1]

فليست المسألة هي أن يكون للمسلمين أميرٌ كيفما كان، ومن دون أساس واقعي، وليست المسألة مجرد تنظيم إداري، بل إن المسألة كانت هي حركة الرسالة في مستواها الثقافي والفكري

---

(١) راجع تاريخ الطبري في أحداث السنة العاشرة للهجرة.

والروحي والسياسي والإقتصادي والأمني وما إلى ذلك، بالمستوى الذي كان يمثله رسول الله ﷺ.

## عليّ هو المتعيّن

من خلال كل ما قدّمناه، وحيث إن المطلوب أن يكون هناك قائدٌ يملك أن يكمل حركة الرسالة، وأن يكون له من العلم ما يستطيع أن يجيب به على كل أحد، كما كان رسول الله ﷺ، وأن يكون له من الاكتفاء بحيث لا يحتاج في مواجهة التحديّات التي تواجه الإسلام على كل المستويات إلى أحد، بل يحتاج كل الناس إليه، فإن عليّاً هو الواجهة لذلك كلّه؛ فعليّ عليه السلام هو الذي يمكن أن يجيب على كل سؤال، ويخطط لكل مرحلة، ويفتح أكثر من أفق.. وهذا ما عشناه واقعاً مع كل التراث الذي وصلنا إليه، من خلال ما جمعه الشريف الرضي، وهو ـ أي الشريف الرضي ـ مع كل شكرنا له، كان يستهدف الأسلوب الأدبي في نهج البلاغة، ولم يستهدف المسألة الثقافية المتنوعة عند علي عليه السلام، ولذلك اختصر الكثير من الخطب والكلمات، وكان الرضي يريد أن ينهج البلاغة في الوقت الذي كانت فيه الأمة بحاجة إلى أن ينتهج ثقافة علي عليه السلام كلها، وإنّ ضياع كلمة من كلمات علي خسارة للأمة والتاريخ، لأن كل كلمة كانت تحمل فكرة وتشير إلى خط ودرب.

وقد برهن الواقع بعد رسول الله ﷺ ذلك، حيث نقرأ في

التاريخ قول عمر بن الخطاب قوله: «لولا عليّ لهلك عمر»، وقوله: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس فيها أبو الحسن»، وقوله: «قضيّةٌ ولا أبا حسنٍ لها».. وقد عبّر الخليل بن أحمد الفراهيدي عن هذه الحقيقة عندما قيل له: لم قدّمتَ عليًّا؟ فقال رحمه الله: «احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل أنّه إمام الكلّ».

هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن في المسلمين شخص ـ بحسب التأريخ ـ كعلي عليه السلام في الروحانية ـ الفياضة التي كان يعيشها بينه وبين ربّه، حتى تراه في دعائه الذي علّمه لكميل بن زياد يقول: «فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك، وهبني يا إلهي صبرت على حرِّ نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك».. ولم يكن فيهم كعلي في العلم، والجهاد، والإخلاص لله ولرسوله.

ولعلنا ـ على أساس ذلك ـ نعرف عظمة علي عليه السلام في إحساسه بالمسؤولية عن الإسلام، وفي إخلاصه للرسالة، أنه عندما أبعد عن الخلافة ـ وهي حقّه ـ لم يقف موقفاً سلبياً عندما رأى الخطر قد تربّص بالإسلام وأهله، لأنه كان يرى أنه المسؤول عن الإسلام والمسلمين خارج الخلافة، بنفس القوة التي يعتبر نفسه مسؤولاً في داخلها، لأن قضيته هي قضية الإسلام.. ولعلّ أبلغ نص في ذلك هو ما جاء في كتابه لأهل مصر، حيث يقول: «فما راعني إلا انثيال الناس على فلان ـ ويقصد أبا بكر ـ يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين

محمد ﷺ فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما زال كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[1].

وكان يقول في ولاية عثمان: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلا عليَّ خاصة»؛ وكأن الإمام عليه السلام يقول: أنا واقع بين خيارين: إما أن أقف موقفاً سلبياً، لأنَّ الولاية حقي، وأترك هؤلاء «يقلّعون شوكهم بأظافرهم» كما يُقال، وهذا ما قد يؤدي إلى أن يثلم في الإسلام ثلمٌ، أو ينهدم فيه هدم.. وإما أن احفظ الإسلام والمسلمين وأجمّد حقي في الخلافة، فانطلقت بموقف إيجابي، أعطي الرأي، وأشارك، وأعاون، وأساعد بكل ما عندي من طاقة، لأن الخطر ليس موجّهاً ضد هؤلاء الذين أبعدوني عن حقي، بل هو موجّه ضد الإسلام..

ولذلك نجد علياً في هذه المواقف يرتفع كما لم يرتفع أحد، حيث نجد هنا إنساناً يُعزل ويُبعد عن حقّه، وحقُّه هو حقُّ الأمة لا حقّه الشخصي، ثمّ نراه عندما يحتاجه الذين أبعدوه لقضية تتصل بالواقع الإسلامي وبسلامة الإسلام يقف ليعطي المشورة والنصيحة والعلم، وليجيب عن كل سؤال، حتى بلغ القمة في ذلك عندما استشاره عمر للشخوص بنفسه إلى قتال الفرس، بعد أن أشار عليه

(١) نهج البلاغة، من كتاب لأهل مصر تحت رقم ٦٢.

قائد المعركة بذلك، ولو كان علي عليه السلام يعيش الحقد في نفسه لقال ـ كما يقول الكثيرون ـ إنها الفرصة المؤاتية للخلاص من عمر، ولكنه عليه السلام كان رجل الإسلام، يفكر بالإسلام لا بالشخص فقال لعمر ـ كما في نهج البلاغة ـ: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلّة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعدّه وأمدّه، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعد من الله، وأنه منجز وعده، وناصرٌ جنده»، ثم قال عليه السلام: «ومكان القيّم بالأمر مقام النظام من الخرز يجمعه، فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً» ـ وهذا كناية عن أن المسؤول الأول في الدولة هو بالنسبة إلى المسلمين كمثل الخيط الذي يجمع الخرز، فإذا سقط الخليفة فيسقط المسلمون، ولا يكون هناك من يجمعهم، لأن العدو يكون قد نال منهم، ثم قال عليه السلام: «والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع؛ فكن قطباً، واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصتَ من هذه الأرض انقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى تكون ما تدع وراءك من العورات أهمّ إليك مما بين يديك...»[1].

ولذلك كله نقول: من الظلم والإجحاف أن نقيس علياً بالآخرين، مع احترامنا لكل الصحابة، لأن علياً عليه السلام بلغ من رسول الله ما لم يبلغه أحد، حتى إذا أردت أن تحدد المسافة بين علي وبين

---

(١) نهج البلاغة، من قوله عليه السلام: لما استشاره عمر بالشخوص بنفسه لقتال الفرس.

غيره، قد تجد أنّها تتسع للدنيا كلها، ويبقى لعلي عليه السلام ـ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ مسافات شاسعة ليست لغيره.

ونحن وإذ نقول ذلك لا نقوله مدحاً لعلي عليه السلام، بل نقوله واقعاً يشهد به التاريخ، وهو الغني عن كل مدح، ولذا ترى المتنبي عندما سئل: لِمَ لم تمدح علياً؟ ـ وقد كان من الذين يلتزمون ولايته ـ أنشأ يقول:

وتركت مدحي للوصيّ تعمّداً
إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا
وإذا استطال الشيء قام بنفسه
وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

## الحق الطبيعي

من خلال كل ما تقدم نقول بأن واقعة الغدير لم تكن حدثاً استثنائياً بالنسبة لعلي في الواقع، بل كان ذلك هو السياق الطبيعي لتاريخ علي عليه السلام، لأنه هو المؤمل الوحيد من بين المسلمين جميعاً لأن يكمل الرسالة في العمق والإمتداد، بل إننا نعتقد أن الغدير كان نهاية المطاف، لأننا نتساءل: ما هو السبب الذي يدفع النبي صلى الله عليه وآله لأن يتحدث عن عليّ بكل ما سقناه من الكلمات من أنه باب مدينة علمه، ومع الحق، وأن الحق معه، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى وما إلى ذلك من قضايا تمس المسؤولية ولا تقبل المجاملة؟

من الطبيعي أن لا تكون المسألة تعبيراً من النبي ﷺ عن عاطفته تجاه علي عليه السلام، لأن هذا يأباه حال النبي ﷺ ومضمون الكلام، بل كان ﷺ يعبّر عن مسؤوليته في تعميق الفكرة عن علي عليه السلام بين المسلمين، فيما يملكه من الخصائص التي تعيّنه ليقود المسيرة الإسلامية من بعده.

ونحن عندما نريد أن نؤكد مسألة الولاية لعليّ عليه السلام، وللأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فإننا لا ننطلق في المسألة على أساس إثارة النعرات المذهبية والحساسيات الطائفية، بل ننطلق من خلال الأسس الفكرية الموضوعية التي يركزها القرآن في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]، وذلك على أساس العلم والحجة والبرهان من خلال الثوابت التي نلتقي عليها..

ومسألة الخلافة في عمقها وحركيّتها ـ في واقعنا الحالي ـ هي في المصدر الذي نأخذ عنه معالم الدين، مما يمثل الحجة أمام الله سبحانه وتعالى، لأنَّ علياً عليه السلام والآخرين قد انتقلوا عن هذه الدنيا. وعلى هذا الأساس فإن الإخلاص للرسالة، والإلتزام بالحجة يفرض أن يبحث المسلمون جميعاً هذه المسألة، على أساس الحوار العلمي الهادىء، لأنَّنا نرفض ـ من خلال التزامنا بالولاية، كل أسلوب في إثارة القضايا ـ حتى لو كانت حقاً ـ يمكن أن ينطلق في عملية فتنة أو تفرقة بين المسلمين، لأنَّنا عندما نوالي عليّاً، فإنَّنا نواليه من حيث

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

عقله وهدفه الكبير، واسلوبه ومنهجه في الحرب والسلم، من حيث إن عليّاً يمثل الإسلام في ذلك كله...

إن عليّاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعلمنا أننا إذا وقفنا بين مصلحة الإسلام العليا، وبين خصوصياتنا فيما نلتزمه، فإنَّ علينا أن نجمّد خصوصياتنا، وأن نراعي المصلحة الإسلامية العليا؛ ولا أقول هنا أن نلغي خصوصياتنا والتزاماتنا لأن ذلك يعني أنك تتحرك في غير اتجاه مبادئك وقناعاتك فيما تفرضه مسألة الحجة بينك وبين الله عزّ وجلّ.

ونحن إذ نؤكّد فإنّنا نؤكّد الحق في الغدير، وأن ننهج نهج عليّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الوحدة الإسلامية، وفي الحوار مع الذين اختلفوا معه، وأن نسلّم ما سلمت أمور المسلمين...

## على هامش الغدير

نحن نذكر كل هذا الواقع الذي عاشه علي عليه السلام من أجل أن نتعلم منه، لأننا نزعم أن بعض الذين يلتزمون عليًا عليه السلام في الولاية عنواناً، لم يتعلموا منه، ولم يقتربوا من عقله وروحه، بل تراهم ينظرون إليه من بعيد، ولذلك بقي التخلف معششاً بين هؤلاء وهم يهتفون باسمه صباح مساء.. ولم يتعلموا من قلبه الذي اتّسع للإنسان كله، وبذلك بقيت قلوبهم مغلقة عن كل محبة.. ولم يتعلموا من حركته في علمه وآفاقه الواسعة،ولذلك بقوا يلتزمون التفاهات، ويعيشون في الأفق الضيق، وربما يصل الأمر بالبعض إلى أن يفرض تخلفه على علي عليه السلام ليعطيه صورته، بل ربما يفرض بعضنا تخلفه على الإسلام كذلك.

إن مشكلتنا في هذا العصر، وفيما نعيشه من مراحل حياتنا ليست مشكلة الذين يحاربون الإسلام فحسب، بل مشكلة الذين يتحركون في خط التخلف الذي يفرضونه على الإسلام، وإنّ الذين يتحدثون عن الإسلام من موقع الخرافة إنما يتحدثون عن الهوامش بدلاً من الإنطلاق إلى الساحة الواسعة والأفق الرحب.

من هنا نقول: لا بد أن نبدأ لنأخذ بأسباب الثقافة، ولنعرف

كيف نصوغ مفاهيمنا ونحددها على أساس الإسلام، وأن نعرف كيف نتفتح على الحياة كلها من خلال الإسلام في الصورة التي قدمها علياً عليه السلام لنا عن الإسلام.. ولذلك ليست المسألة أن نزور علياً عليه السلام في التاريخ، بل لا بد أن ندعوه إلى أن يزورنا ـ لا زيارة الجسد ـ بل أن يدخل علي عليه السلام في فكرنا وسياستنا واقتصادنا وإدارتنا وعلاقاتنا وأوضاعنا بكل ما تركه لنا من تراث فكره وروحه وحركته في الحياة، لنسمو في مواقع سمّوه، وهو الذي محلّه محل القطب من الرحى، ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير.

ولذلك نحن نقول: إن الانتماء إلى علي عليه السلام يكلّف كثيراً، ويُتعب كثيراً، وذلك لأن حقيقة الإنتماء له ليست عنواناً تتعنون به، أو شعاراً ترفعه بل هو خط تسير عليه، وحركة تنفتح عليها بكل ما للحق من معنًى.. ومن هنا نجد علياً عليه السلام يحدد لنا ميزان القيمة في الإسلام فيقول:

«إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا» ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، فالانتماء ليس انتماء القرابة، ولكنه انتماء الرسالة والإيمان والمسيرة، ثم يقول عليه السلام: «إن وليّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته». إن القرابة هي قرابة الرسالة، وقرابة الخط والعمل، وهذا ما نجده في القرآن الكريم في الحوار الذي جرى بين نوح عليه السلام وبين

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٥، ٤٦.

ربّه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[1]، وقد قال الشاعر وهو يصور علاقة الرسالة بأهل البيت عليهم السلام:

كانت مودّة سلمان لهم رَحِماً
ولم يكن بين نوح وابنه رَحِمُ

## حقيقة الانتماء

ونحب هنا أن نقف عند مسألة الانتماء إلى علي عليه السلام، لنحاول أن نركز فيها الخط المتوازن في ميزان الحق والإسلام.

لقد عاش علي عليه السلام واقعاً إشكالياً في مسألة الإنتماء، حيث كان ـ وما زال ـ هناك من يحبونه، وهناك من يبغضونه، بل إن هناك من انحرف في مسألة الحب حتى عاشوا الغلوّ في عليّ عليه السلام وهم يحسبون ذلك التزاماً بخط أهل البيت عليهم السلام.

يقول علي عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن» والخيشوم أقصى الأنف، «بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها» والجمات جمع جمّة وهو مكان جمع الماء «أو بجمعتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني، وذلك أنه قضي على لسان النبي الأميّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق»». فلماذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الكلمة؟ مع أن الحب

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٥ ـ ٤٦.

والبغض مسألة تتصل بنبضات القلب، وهي عادة لا تعرف الخطوط المستقيمة أو المتوازنة، لأن القلب لا يملك قاعدة ثابتة يستقر عليها، وهو يتحرك في مسألة الحب والبغض دونما ارتباط بالأيديولوجيا، فربما ينبض قلبك بحب شخص يختلف معك، وربما ينبض قلبك ببغض من يتفق معك في المبدأ والخط في كل ذلك.

إذا أردنا أن ندرس عمق المسألة بالنسبة إلى علي عليه السلام، فإننا من جهة نجد أن علياً عليه السلام يمتلك كثيراً من الصفات الإنسانية التي يمكن للمنافق أن يحبّه من خلالها، فهو الشجاع البطل، والعالم العادل، ولكن عمق المسألة التي أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم تركيزها لا تتصل بهذا المستوى، وإن كان ذلك واقعياً، بل هي مسألة تتصل بالعقل في عمق الوعي، لأن علياً عليه السلام كان إيماناً كله، حتى لم يعد في شخصيته مكان لأي شيء ذاتي، لأنه باع كلّه لله، وقد قال تعالى عنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[1]، وقد كان عقله عقل الإيمان، وقلبه قلب الإيمان، وحركته حركة الإيمان، وشجاعته وزهده وعدله وعلمه، كل ذلك يتحرك في دائرة الإيمان. فالمؤمن الذي يعيش في نفسه عمق الإيمان لا بد أن يعيش الحب والإنفتاح والولاية لكل من يجسّد الإيمان، وعلي عليه السلام كان التجسيد الحي والعميق للإيمان كله.

أما المنافق الذي اختزن الكفر في قلبه، ولم يتعلق من الإيمان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

بشيء، بل كان إظهاره للإيمان بلسانه وسيلة من وسائل تغطية الخطط التي يخططها ليهدم الإيمان في العقيدة والشريعة والحياة، فكيف يمكن أن يحبّ علياً الذي يقف في قلب الساحة المواجهة؟!

## مشكلة الغلو:

ثم يقول علي عليه السلام: «هلك فيَّ اثنان: محبٌّ غالٍ ومبغضٌ قالٍ»، فقد كان عليّ عليه السلام يحب الله ورسوله، ويتواضع لله ورسوله، ولا يريد لأحدٍ أن يقترب به من مقام الله عزّ وجلّ في أي مجال من المجالات وحتى أنه لا يريد لأحد أن يقترب به من مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يركّز على عبوديته وتواضعه لله، وهذا ما عبّر عنه في دعاء كميل: «وأنا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين»، فهو يعتز بعبوديته لله، ويرى أن عظمة الإنسان تكمن في العبودية الخالصة لله في العقل والقلب والحركة، فالإنسان كلما كان عبداً لله أكثر كلما اقترب منه أكثر وعاش العظمة في آفاق الله أكثر.

ولذلك فإن علياً عليه السلام في قوله هذا كان يريد للمحبّين أن يقفوا في خط التوازن فيما يريده الإسلام، وكذلك يريد للمبغضين أن يدرسوا المسألة على أساس الحق الذي يمثله علي عليه السلام. فلا يحسب الذين يغالون في عليّ عليه السلام، أو في أبنائه من أئمة أهل البيت عليهم السلام، أنهم يعيشون الإخلاص وحقيقة الانتماء إلى علي وأهل بيته، لأن عمق الإخلاص لهم يكون بالإخلاص لرسالتهم، إذ ليس

عندهم شيء آخر غير الإسلام، وذلك قولهم: «من كان ولياً لله فهو لنا ولي، ومن كان عدواً لله فهو لنا عدو، والله ما تنال ولايتنا إلا بالورع». ولذلك فعندما نريد أن نحبّهم فلا بد أن يكون ذلك على المنهاج الذي رسموه لنا، كما ورد في كلمة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «أحبُّونا حبَّ الإسلام»، بمعنى أن يكون الحب في الدائرة الإسلامية، بأن لا يبتعد عن العقيدة في خطوطها في الكتاب والسنة.

هذا الأمر يفرض علينا أن ندقق فيما جاءنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام، بأن ندرس صحة السند مضافاً إلى التدقيق في المضمون، وأن تكون لنا الحساسية العلمية تجاه الأحاديث التي وردت في الأمور العقائدية أو التاريخية، تماماً كالحساسية التي نعيشها تجاه الأحاديث الشرعية، لأنّ بعض الناس قد كذبوا على الأئمة عليهم السلام، لا في الجانب السلبي فقط، بل في جانب الغلو أيضاً، من أجل أن يوجدوا للأئمة عليهم السلام في نظر الناس حالة سلبية من خلال الواقع الإجتماعي للمسلمين الذي كان يعيش حساسية مفرطة تجاه أي لونٍ من ألوان الغلو خصوصاً بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام.

وهذا ما ورد فيه الحديث عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، فعن إبراهيم بن أبي محمود قال: قلتُ للرضا عليه السلام: إن عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من مخالفيكم ولا نعرف مثلها عندكم أفندين بها؟ فقال: «يا ابن أبي محمود، لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جدّه، أن

رسول الله ﷺ قال: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عزّ وجلّ فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس»، ثم قال عليه السلام: «يا ابن أبي محمود، إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا. فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالبَ أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا»، وتابع الإمام عليه السلام يقول: «يا ابن أبي محمود، إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا» - وهي الطريقة الوسطى -، «فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، إن أدنىٰ ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة نواة، ثم يدين بذلك ويبرأ ممّن خالفه...».

وفي هذا الحديث تصريح من الإمام عليه السلام أن أحاديث الغلو التي تخرج أهل البيت عليهم السلام من إطار البشرية وتجعلهم قريبين من الربوبية ليست صادرة عنهم.



# تساؤلات حول الغدير

**س ١ : هل تتوقف ولاية المعصوم وإمامته على قناعة الناس بها أم أنها تتجاوز ذلك؟**

ج: لو كانت المسألة تحتاج إلى انتخابات لما نجح النبي في نبوته في أول عهد الدعوة الإسلامية، لأنه لم تكن له في ذلك الوقت الشعبية الكافية، بل لقد رفضه أكثر الناس، فإذا كان المعنى أن المعصوم ـ نبياً أو غير نبي ـ لا يصل إلى مقامه إلاّ بقناعة الناس لما وصل إليها أحد. نعم قد يحتاج المعصوم من أجل أن تكون ولايته فعلية أي مؤثرة على الناس من أن يحصل على اعتراف من قبلهم ولعل ذلك هو ما تفيده مسألة البيعة والله أعلم.

فالمسألة هنا هي أن الله سبحانه هو الذي يصطفي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] فهو الذي يصطفي منهم رسلاً ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾[2]، ولذلك فإنّ الولي وولايته ودوره أمرٌ إلهي أراد الله سبحانه وتعالى للناس أن يطيعوه فيه.

**س ٢ : كيف يمكن إقناع الآخر غير الإمامي بأن آية إكمال الدين وإتمام النعمة دليل قرآني على بيعة النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام[3]**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٣) المقصود هو قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

ج: إنّ الآية الكريمة عامة، وبالتالي فإن إفادتها لهذا الأمر لا بد أن تتم من خلال دراسة السنة وكتب التفسير لنعرف من خلال السيرة النبوية الشريفة ومن خلال الكثير من الأحاديث أن هذه الآية نزلت في يوم الغدير بعد أن بلّغ النبي ﷺ الرسالة.

فالقضية ليست قضية إماميّ أو غير إمامي، بل هي قضية علمية لا بدّ أن ننطلق فيها من دراسة النصوص الواردة في هذا الموضوع، ونحاول أن نقارن بين هذه النصوص والنصوص الأخرى التي تعارضها حتى نستطيع الوصول إلى نتيجة إيجابية كأي بحث علمي يراد من خلاله الوصول إلى نتيجة حاسمة.

ومن الخطأ جداً أن ندخل الحوار على أساس أن هذا شيعي يريد أن يؤكد موقفه وأن هذا سنيّ يريد أن يؤكّد موقفه بالعقلية الذاتية الفئوية، بل علينا أن نفتح عقولنا لله سبحانه وتعالى ونقرأ الآية: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]، أي من خلال فهم الإسلام، وأن نُعذِر إلى الله سبحانه وتعالى في الموقف الإسلامي.

وعلينا أن ننطلق بعقلية الباحث عن الحقيقة، وقد رأينا كيف أن الله علم رسوله في أسلوب الحوار بأن يقول: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[2]، فلم يكن النبي ﷺ شاكاً في أنه على هدى وأنهم على باطل وهو ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[3]، لكن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

الله تعالى أراد في أسلوب الحوار أن توحي إلى مَن تختلف معه أنك تريد أن تبحث القضية معه كما لو كنت شاكاً، وأن يبحث القضية معك كما لو كان شاكاً، والنتجية في نهاية المطاف هي أنكما تترافقان في رحلة البحث عن الحقيقة، لا أنك تريد أن تؤكد نفسك ويريد هو أن يؤكد نفسه، لأن العصبية تأتي من خلال ذلك.

**س ٣: هل لديكم (أنتم الشيعة) دليل على إمامة علي عليه السلام غير النصوص، فالبعض يذكر سيرته ونهجه، فهل هذا كافٍ لإثبات الإمامة؟**

ج: عندما نتحدث عن الحكم الإسلامي وعن إسلامية أي موقف فمن الطبيعي أن تكون النصوص هي الأساس، فلدينا كتاب الله وسنة رسوله، والله يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1]، فليس هناك أي معنى لأن نبحث عن عنوان إسلامي أو خط إسلامي بعيداً عن النصوص، هذا أولاً. وثانياً فإن ما ذكرناه يعطي عمقاً للمعنى الذي تمثله النصوص بحيث لا تكون مجرد نصوص انطلقت من دون واقع يفرضها، ونستحضر في هذا المجال كلمة «الخليل بن أحمد الفراهيدي» مخترع علم العروض وصاحب أول قاموس لغوي وهو «العين» عندما قيل له: لم قدمت علياً؟ قال: «احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل أنه إمام الكل».

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

**س ٤ : ما هو السرّ في الانجذاب السحري نحو شخصية الإمام علي عليه السلام عند بعض الناس، وما السر في البغض والنصب عن البعض الآخر لنفس الشخصية المقدسة لأمير المؤمنين عليه السلام ؟**

ج : أما كيف ينجذب الناس إيجاباً لعلي عليه السلام فلأنك لا تملك أمام علي إلا أن تنجذب إليه، لأنك لا تجد في عقله ولا في قلبه ولا في حياته إلا الإسلام والحق والعدل، حتى أثر عنه أنه قال: «ما ترك لي الحق صديقاً»[1]. فأنت لا تستطيع أن تجد في علي نقطة ضعف ـ بغض النظر عن عصمته ـ بل لا تملك إلا أن تنحني إجلالاً لمواقفه، فإنه عندما ينظر إلى نعله التي يخصفها بيده يخاطب ابن عباس قائلاً: «والله لهي أحبُّ إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»[2]، وكان يقول: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[3].

فكيف لا تنجذب لعلي الذي كان يقول بشأن كل الجدل الذي ثار حول الخلافة، وهو الذي يعتقد ـ كما نعتقد ـ أنه أحق بالخلافة، قال: «لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، والله لأسلمن ما

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، باب: ٤٣، ص٥٨.
(٢) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ص: ٣٨، خ٣٣.
(٣) نهج البلاغة: ص١٦، خ: ٣.

سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[1]. فعندما تسمع علياً يقول: «يا دنيا، إليك عني أبي تعرضت؟ أم إليّ تشوّقت؟ لا حان حينك غرّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلّقتك ثلاثاً»[2] ألا ترى فيه إنساناً خرج من الدنيا بالمعنى المادي لها، بعقله وقلبه وروحه وحياته، وعند ذاك كيف لا تحبه؟

ولكن، مع ذلك، لا يمكن أن تحب علياً عليه السلام وأن تنجذب إليه وأن تدخل في عمق شخصيته، ما لم تفهمه.

أما الذين يبغضونه وينصبون العداوة له، فهم كمن يبغض الورد ويحب الشوك، وكمن يبغض العطر ويحب النتانة، وكمن يبغض النور ويحب الظلمة، هؤلاء لا يعيشون معنى الإنسانية، لأنك لا يمكن أن تكون إنساناً وتبغض علياً، ونحن لا نقولها من موقع عاطفة بل من موقع العقل الذي يحسب الأشياء بكل دقة.

**س: هل هناك أسباب استدعت إخفاء حديث الغدير؟**

ج: كل الأسباب والعناصر القلقة التي كانت موجودة في الواقع الإسلامي هي من بين الأسباب التي أوجبت ذلك، فعندما نسمع قول الخليفة الثاني «لو وليها علي لحملهم على المحجة البيضاء». وعندما نسمع أن علياً عليه السلام لا يزال شاباً وأنه قد قتل صناديد قريش، وأن

---

(١) نهج البلاغة: ص٦١، خ: ٧٤.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٦٣، قصار الحكم: ٧٧.

قريش لا تقبل بعلي عليه السلام وما إلى ذلك، نفهم كيف أخفي حديث الغدير، وكيف اختلطت الأوراق في هذا الموضوع.

ولعلّنا نعرف سرّ إخفاء الغدير عندما ندرس الواقع المعاصر الذي كانت فيه بعض القضايا واضحة كالشمس ولكنها أخفيت بطريقة قلقة دخل فيها الكثيرون على الخط. فعندما ندرس كيف تتبدّل الأوضاع، وكيف تتغيّر الأفكار وكيف تختلط الأوراق فإنّنا نجد بالتجربة الكثير من هذا في واقعنا، والسبب في ذلك هو أن المؤثّرات التي يمكن أن تتحرك في الواقع الإجتماعي أمام أيّة قضية لا تتحرك في المجرى الإجتماعي الذي يرضاه الناس أو يحبونه، بل تتحرك الكثير من الأساليب والوسائل من أجل إبعاد القضية عن خطها المستقيم ولو بالقول.

وعلى سبيل المثال: عندما ندرس قصة الحسن والحسين عليهما السلام نجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربّى لهما حباً في نفوس المسلمين، وقد استطاعا أن يعمقا هذا الحب من خلال سلوكهما وسيرتهما. وكدليل على ذلك عندما انطلق الإمام الحسين عليه السلام، وقد بايعه أهل الكوفة، التقى الفرزدق في الطريق فسأله الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة، فقال له الفرزدق: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك». ونحن عشنا الكثير من هذا في العراق وعشناه في لبنان ونعيشه في أكثر من موقع من العالم، لأن مسألة الجماهير هي أنها تنطلق بانفعال وتتحرك بانفعال أيضاً، بحيث يتحول الحق باطلاً والباطل حقاً عند الكبار والصغار، وتنقلب الأمور رأساً على عقب في أمرٍ واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار.

**س ٥: كان الشهيد الصدر(رض) يرى أن أهم وأشد الأمراض التي ابتلي بها المسلمون في عصر الإمام علي عليه السلام هو مرض الشك، فلماذا نشأ الشك، وكيف نشأ، مع أن الإمام علي عليه السلام يمثل أكمل مسلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟**

ج: يبقى الإنسان إنساناً، يأخذ من الإسلام ومن الإيمان بمقدار مختلف، فقد يأخذ الإسلام كلـه وقـد يأخـذ ربعه أو نصفه أو ما إلى ذلك، وتنطلق المؤثرات لتؤثر فيه سلباً.

فالشـكّ كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث وقف «العباس بن مـرداس» فـي «غـزوة حنيـن» ورسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسـم الغنـائـم بيـن المقاتلين، وكانت له حكمته في ذلك، فوقف العباس بن مرداس وهو يرى أنه يستحق أكثر من ذلك قال: أعدل فقال: ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل»[1]؟

وهكـذا كنـا نجـد أن المنـافقيـن مـن خـلال طبيعـة التعقيـدات الموجودة في الواقع الإسلامي كانوا يعيشون الشك؛ وقد رأينا في أواخر حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف انطلق الكثير من الناس في تعقيد الأمور بنحو زرعوا من خلاله الشك، فلقد كان حديث «الغدير» أوضح الكلمات، ولكن رأينا كيف انطلقت كلمات تثير الهواجس من هنا وشكوكاً من هنا، وتبعد المسألة من مدلولها هناك، حتى رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الناس تبتعد عما بينه لهم بوضوح

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٣٣، باب: ٢٢، ص٣٢٦، رواية: ٥٧٢.

من خلال الطريقة التي أصبحوا فيها يتناولون القضايا؛ ولذلك قال: «إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»[1] ومع ذلك قال بعض من عنده: «إن النبي ليهجر» أو «غلبه الوجع» وما أشبه ذلك حتى بذر الشك فيما يكتبه النبي ﷺ وهذا ما قاله النبي ﷺ عندما قيل بعد ذلك، كما تنقل الرواية: هل نأتيك بالدواة والكتف، قال: أوَ بعد الذي قلتم؟

وهكذا عاش المسلمون مشاكل كثيرة وتعقيدات حجبت وضوح الحقيقة عندهم، وهذا ما جعل الشك يثور في عهد علي عليه السلام أقوى مما ثار في عهد الرسول ﷺ فليست مسألة أن يشك إنسان أو لا يشك من خلال طبيعة الشخص الذي يعيش معه، ولكن من خلال التعقيدات الإجتماعية التي تخلط الأوراق وتبعد القضية عن وضوحها.

وهذا ما نلاحظه في كثير من الأوضاع والأحكام والشكوك التي قد تثار حول الكثير من رجال الطليعة الإسلامية من خلال حقد هنا وحسد هناك ومخابرات هنا وما إلى ذلك، مما يفقد الحق معه وضوحه فيخيل للناس أن الحق باطل وأن الباطل حق، ويحاربون الحق باسم محاربتهم للباطل، ويدعمون الباطل باسم دعمهم للحق، وكم لهذه القضية من شواهد في عصرنا الحاضر!

**س ٦: تستدلون على الإمامة الشرعية والسياسية بحديث الغدير**

---

(١) بحار الأنوار، م. سابق: ج١٦، باب: ٦، ص١٣٥، رواية: ٧٥.

الذي قاله رسول الله ﷺ، هذا إذا كان قد صدر عن الرسول، وهذا الحديث على تقدير صحته لا يعطي هذا المعنى البعيد الذي تذهبون إليه؟

ج: حديث الغدير هو حديث مستفيض، بل متواتر عند السنة والشيعة، وإذا كان السائل يناقش في الدلالة فالدلالة واضحة، لأن النبي ﷺ رجع من حجة الوداع وكان معه مسلمون حتى وصلوا إلى مفترق الطرق فجمع الناس في وقت الظهر ورفع يد علي عالياً حتى بان بياض إبطيهما للناس ثم قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللهم بلى» قال: «اللهم أشهد» ثم قال: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه». وهنا يفسّر بعض كلامه أن من كنت محبَّه فعلي محبَّه لأن المولى يطق على المحب ويطلق على الناصر ويطلق على ولي الأمر؛ فإذا كان اللفظ محتملاً لكل هذه المعاني فلا يمكن الاستدلال عليه بكون المراد منه الولاية والحاكمية.

وتعليقاً على ذلك نقول: أولاً عندما ندرس طبيعة الحادثة وكيف جمع ﷺ الناس في ذلك الوقت القائظ.. هل لمجرد أن يقول لهم أن الذي أحبه أنا يحبه علي أيضاً، أو أن الذي يحبني لا بد أن يحبَّ علياً أيضاً، إن هذا لا معنى له من خلال طبيعة الموضوع، ثم أن قوله: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم» يعطي معنى الولاية والحاكمية، بقرينة الاستشهاد بالآية القرآنية قبلها، وهذا يعني أن المراد بها «الأولى بالمؤمنين من أنفسهم»، أي الولي والحاكم، وهذا ما يستدل به على الإمامة من حديث الغدير.

**س ٧: إن تواتر الأخبار عن يوم الغدير يقطع الشك ويعطي اليقين بهذا العيد الإسلامي الكبير، ولكن يتحدث البعض عن عدم استخدام الإمام هذا الحدث في المطالبة بحقه في الخلافة بشكل واضح فما هو رأيكم؟**

ج: يقول عليّ عليه السلام: «أما والله لقد تقمصها مني فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير»[1] مما يبيّن أنه تحدث عن ذلك بطريقة الرمز، هذا من جانب. ومن جانب آخر ينقل التاريخ أن علياً تحدث بهذا الأمر فيما ينقل عنه بالصراحة، فقد نقل المؤرخون أن عليّاً جمع الناس في الرحبة أيام خلافته فقال: «أنشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال إلا قام فشهد بما سمع، ولا يقم إلاّ من رآه بعينه وسمعه بأذنيه، فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرياً، فشهدوا أنه أخذه بيده، فقال للناس: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم، قال صلى الله عليه وآله: «من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه».

ولم يقم ثلاثة للشهادة، ومنهم أنس بن مالك، فقال له عليّ عليه السلام: مالك ـ لا تقوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته يومئذٍ منه؟ فقال: يا أمير المؤمنين كبرت سنيّ ونسيت. فقال علي: إن كنت كاذباً فضربك الله ببياضٍ لا تواريها العمامة، فما قام حتى

---

(١) نهج البلاغة: خ٣.

أبيضّ وجهه برصاً، فكان بعد ذلك يقول: أصابتني دعوة العبد الصالح... وقد ذكر هذا الإمام ابن قتيبة الدينوري، ويشهد له ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في الجزء الأول من مسنده حيث قال: «فقاموا إلا ثلاثة لم يقوموا فأصابتهم دعوته». فلقد تحدث الإمام في أكثر من موقع بطريق الرمز تارة وبطريق الإشارة أخرى وبطريق الصراحة ثالثة، لأنه كان يواجه القضايا بالحكمة وبما فيه المصلحة للإسلام والمسلمين.

**س ٨: البعض يرى أن بيعة الغدير انتهت عندما بايع علي الخليفة الأول ومن هنا يرون عدم وجود ضرورة حتى لإحياء هذه المناسبة نظراً لانتفاء الموضوع؟**

ج: عندما ندرس الإمام عليّ عليه السلام في الخطبة الشقشقية نجد أنه ـ حتى مرحلة حكمه ـ كان يرى أن حقه هو الحق، وأن الظروف التي أحاطت به لم تجعله يتراجع عن حقه، لأن مثل هذه القضية التي كانت الولاية فيها من الله بتنفيذ من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن لا يتنازل عنها إذ لا معنى للتنازل في هذا المجال، لأن الأمر لا يملكه عليٌّ بشخصه، بل هو أمر متعلق بالإسلام في حركتيه وحيويته وأصالته.

ونحن عندما نذكر علياً لا نريد أن نتنازع لنزيل الذي تقدموه ونضع علياً مكانهم فقد أصبح عليّ ومن تقدمه في رحاب الله، إنما القصة هي قصة خط علي الفكري والمنهجي والروحي والجهادي وهو معنى حركتنا في خط الولاية.

**س ٩: لقد ورد في حديث الغدير أن رسول الله ﷺ قد حشد الآلاف من المسلمين عندما ولّي علياً، والسؤال أين كان هذا الحشد بعد وفاة رسول الله من المبايعة لعلي؟**

ج: لقد أحيط الواقع الذي أعقب واقعة الغدير بأسلوب نفسي جعل الجميع يغفلون عن القضية تماماً، وإذا كان البعض يتعجب من ذلك أو يستبعده، فإن عندنا في الواقع الذي عشناه في تأريخنا في بيعة الناس للحسين عليه السلام مثلاً آخر، فلقد كانت قلوبهم معه وسيوفهم عليه، كما نجد في تاريخنا المعاصر كثيراً من القيادات التي التفّ حولها المسلمون كيف لم تجد ناصراً واحداً أو صوتاً واحداً عندما اضطهدت بطريقة وبأخرى.

**س ١٠: تحدّث أحد الخطباء عن الفتنة التي حدثت في خلافة الإمام عليّ عليه السلام فقال: إنه رجل فقيه وشجاع وذو علم ولكن تنقصه السياسة، ولذلك قامت الحروب في زمنه، فهل هذا صحيح؟**

ج: إن بعض الناس لا يفهم السياسة في خط الرسالة بعمق.. نعم، قد لا يكون الإمام عليّ عليه السلام سياسياً بمعنى السياسي الذي يحافظ على حكمه ويتشبث بالحكم كيفما كان، كمثل من يريد أن يصبح حاكماً ولو بالتعامل مع الشيطان وتراه ـ إذا حكم ـ يظلم بالناس ويفسد في الأرض ويستحلُّ كل شيء حتى يبقى في الحكم؛ في حين أن عظمة الإمام عليّ عليه السلام هي أنه اعتبر أن دوره هو أن يعطي للرسالة واقعيتها وأن يثبت أنْ هناك حاكماً يريد أن يطبق الإسلام حتى لو كان ذلك على حساب بقائه في الحكم كما كان يقول: «قد يرى

الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من آمر الله ونهيه فيدعها راي عين بعد القدرة وينتهز فرصتها من لا حرجة له في الدين»[1].

وكان يقول ردّاً على من كان يقول في ذلك الوقت إن معاوية أدهى من عليّ: «والله ما معاوية بأدهى مني ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس»[2]. فالإمام عليّ عليه السلام يريد للسياسة أن تتحرك من أجل أن تعمق للناس القضايا الكبرى، ولا يريد للسياسة أن تتحرك من أجل أن تزوّر روحية الناس وتقودهم إلى أن يجعلوا السياسة لعبة لمصلحة الذات. فالإمام كان يقول: «ليس أمري وأمركم واحداً إنني أريدكم لله وأنت تريدونني لأنفسكم»[3].

ونحن نعتقد أن الخلافة لعليّ عليه السلام لأنه هو المسلم الوحيد الذي عاش الإسلام كله، وعرف الإسلام كله، وانفتح على روحانية الإسلام كلها، وعاش مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لم يستطع بفعل الحروب والأوضاع والمشاكل أن يكمل مشروعة في تركيز القيم الإسلامية في نفوس الناس، فكان يحتاج إلى شخص هو كنفسه لإكمال الشوط، وليس هناك إلا علي عليه السلام، ولذلك كانت الخلافة هي الحق الطبيعي له، وكان دوره عليه السلام هو أن يحمي الإسلام، وهذا هو الذي يفسر تعاونه مع الخلفاء الذين سبقوه مع أنهم أبعدوه عن حقه، لأنه يعتبر نفسه مسؤولاً خارج الخلافة وداخلها، فدور الإمامة هنا هو دور النبوة بدون

---

(١) بحار الأنوار، م. سابق، ج:٧٥، ب:٧٢، ج:١١، ص٢٧٨.

(٢) بحار الأنوار، م. سابق، ج٣٣، ب١٧، ر:٤٨٣، ص:١٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ج:٣٣، ب:١١، ز:١٩، ص:٣٣.

نبوة، كما قال عنه رسول الله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[1]، فدور الإمام علي عليه السلام هو أن يؤكد الحق حتى يعطي الناس فكرة عن الحكم الإسلامي وكيف يؤصل القيم الإسلامية في تجربته حتى على حساب الكثير من السلبيات في حياته.

**س ١١: ينقل عنكم أنكم ذكرتم في مقابلة صحيفة مع جريدة (الحياة) أن ولاية عليّ عليه السلام لا تصل إلى حدّ القطع؟**

ج: هذا ليس صحيحاً، فنحن نقول أنه ثبت لدينا بالقطع أن النبي ﷺ ولّى عليّاً عليه السلام بنصّ من الله سبحانه وتعالى في يوم الغدير وفي غير يوم الغدير، ولكننا كنّا نتحدث عن أن هذه المسألة هي من المسائل النظرية التي هي محل خلاف بين السنة والشيعة، فالشيعة يقطعون بذلك والسنة لا يقطعون به، ولذلك وُضِعَت هذه المسألة موضع الجدل. وثمة فرق بين من يقول إنها من القضايا البديهية التي لا يمكن لأحد من المسلمين أن يناقش فيها وبين من يقول أنها من القضايا النظرية.. فكل العلماء يقولون إنها من القضايا النظرية التي لا بد من تقديم البرهان عليها من قبل علمائنا وأن يقدّم علماء السنة البرهان النافي والسلبي لها، وهذا لا ينافي أن الشيعة يقطعون بذلك.

**س ١٢: ما هو دور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الـ(٢٥) سنة من معاصرة الخلفاء؟**

---

(١) المصدر نفسه، ج:٥، ب:٢، ر:١، ص:٦٩.

ج: كان دوره أعظم دور، لأن الإمام عليّ عليه السلام يعتبر نفسه أنه أمير المؤمنين خارج الخلافة كما هو أمير المؤمنين داخل الخلافة، وأنه مسؤول عن الإسلام كله، سواء كان هو على رأس المسؤولية أو لم يكن، ولذلك وقف الإمام عليّ عليه السلام مع الذين أبعدوه عن الخلافة وغصبوا حقه ليعطيهم المشورة كلها والنصيحة كلها وليحل لهم المشاكل التي تواجههم من دون أية عقدة، لأن الفرق بين الإمام عليّ عليه السلام وبين الآخرين من الصحابة هو أن عليّاً كان إسلامياً كلّه وكانت مسؤوليته عن الإسلام كمسؤولية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من دون نبوة، ولذلك قال: «لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة»، ولهذا نجد أنه نصح كل الخلفاء الذين تقدموه في سيرته، وينقل أنه دافع عن عثمان وأرسل ولديه للدفاع عنه، وليس معنى ذلك أنه ترك أو تنازل عن حقه ولكنه كان يراعي مصلحة الإسلام العليا..

إن علينا أن نتعلم من علي عليه السلام سعة الأفق، فنفكر بالإسلام وبرحابة الصدر واستقامة الخط لأن عليّاً علّمنا ذلك قبل خلافته وبعد خلافته.

**س ١٣: ما هي الأسباب التي دعت عليّاً عليه السلام إلى نقل مقر الخلافة إلى الكوفة رغم ما للمدينة في نفس الإمام من مكانة؟**

ج: باعتبار أن الإمام عليه السلام عندما رجع من البصرة رأى أن الظروف المحيطة به تدعو إلى اختيار الكوفة ليحقق سيطرة أكبر على الواقع في الخلافة.

**س ١٤: تقول نظرية الشيعة في الإمامة: إن الإمامة هي تكليف من الله عزّ وجلّ باعتبارها امتداد للنبوة. إذن كيف ترك الإمام علي عليه السلام حقّه في الخلافة في الوقت الذي لا يسمح للنبي ترك دعوته، أليس هذا مثل ذاك؟**

ج: إن الإمام عليه السلام لم يلغ حقه ولم يتنازل عنه، ولكنه جمد المطالبة به لأن لم يكن ليتم له ذلك من خلال طبيعة الظروف الموضوعية، وقد بيّن السبب في ذلك عندما يقول: «حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دينه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة عليّ أعظم من فوت ولايتكم»، وحتى أن الأنبياء عليهم السلام عندما يواجهون التحديات والصعوبات التي تمنعهم من أداء التكليف يقفون ـ لا اختياراً ـ بل لأن الظروف لم تسمح لهم بذلك.

**س ١٥: هل يعتبر «حديث الغدير» نصاً من السماء أو هو مجرد إعداد وترشيح كان على المسلمين إمضاؤه؟**

ج: ليس ترشيحاً بل هو تعيين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(١). ففي القضية جانب إلزامي وتعيين، ثم قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢)، فالإمام

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

علي عليه السلام متعين من قبل الله تعالى ومن قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قبل الحق والحقيقة.

**س ١٦: من أسباب إنكار بعض الباحثين لكون «نهج البلاغة» من كلمات الإمام علي عليه السلام هو هذا العلم الجسيم في مختلف المجالات سواء في العلوم أم في المعنويات، حيث يقول هذا البعض إن هذا العلم لم يجمعه أي صحابي فكيف جمعه الإمام علي عليه السلام ويعتبرون ذلك دليلاً على أن «نهج البلاغة» وضع في فترة متأخرة عن عصر الإمام؟**

ج: إن الذين يتحدثون بهذه الطريقة لا يفهمون علياً، لأنهم يتحدثون عن علي عليه السلام كما يتحدثون عن أيّ صحابي وعلي ليس كذلك، لأن علياً عليه السلام كان كل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علمه، وقد ورد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وقد تحدث عن هذا العلم في كلمته المشهورة «علمني رسول الله ألف باب من العلم» والباب يمثل المنطقة التي تشتمل على خطوط العلم الواسعة، والإمام لم يكن يتلقى العلم فحسب بل كان ينتجه عندما كان يتعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ما أعطاه، فإنه كان ينتج من ذلك علماً جديداً، ولذا عقّب بقوله: «يفتح لي من كل باب ألف باب» ونحن نعرف أن علياً كان تلميذ القرآن كما هو تلميذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد وعى القرآن في نزوله كما لم يَعِه أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال له: «إنك ترى ما أرى وتسمع ما أسمع ولكنك لست بنبي»، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليله ونهاره، ولذا كان يعرف كل آية أين نزلت وفيمن

نزلت وما إلى ذلك. ونحن نعرف أن القرآن الكريم يمثل الكتاب الذي لا يزال الناس، مع كل هذه القرون، ينفتحون عليه ويستلهمونه ويستوحونه ويفهمونه كما لو كان كتاباً نزل حديثاً، فهو يتجدد باستمرار ويجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر، فكل جيل من الأجيال يرى أن القرآن يتحدث عن قضاياه كلها كما لو كان نزل عليه، وكان يقول في أواخر أيامه: «سلوني قبل أن تفقدوني فإني بطرق السماء أعرف مني بطرق الأرض» وقال: «إن ههنا ـ ويشير إلى صدره ـ لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة» وعلي عليه السلام هو الذي قال، وهو يتحدث عن معرفته بالله: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً».

فعليّ عليه السلام شيء آخر غير هؤلاء الناس مع احترامنا لكل الناس، وهو بشر وليس بنبي، كما قال له النبي صلى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». هذا عندما نتحدث عن علي عليه السلام في الحالة الطبيعية، وأما عن الفيوضات التي أفاضها الله على عليّ عليه السلام في الحالة الطبيعية، وأما عن الفيوضات التي أفاضها لله على علي عليه السلام فهناك آفاق وامتدادات لا يعرفها الناس. لذلك أن يتحدث علي عليه السلام عن المستقبل وعما لا يألفه الناس من المعنويات ومن القضايا الأخرى، فهذا أمر لا غرابة فيه، لأن الناس كانوا لا يعرفون الكثير، حتى أن بعض المفسرين لنهج البلاغة يتحدثون عن أن عليّاً خطط لكثير من العلوم والخطوط التي تحرك الناس فيها بعد ذلك.

س ١٧ : تحاورت مع أخٍ لي حول موضوع خلافة الإمام علي عليه السلام من بعده، وقال لي إن كل ما ورد في خلافة علي عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله غير صحيح لأنه يناقض القرآن، فالقرآن يقول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ وهناك أشياء كثيرة قالها الرسول في حياته وذكر أنها ستتحقق في المستقبل وقد تحققت فعلاً بعد وفاته. لكن خلافة الإمام علي بعد الرسول لم تتحقق مما يدل على أن الرسول لم يقل شيئاً من هذا القبيل فلو قاله لتحقق؟

ج: هذا الرجل لا يفهم المسألة كما ينبغي، لأن أكثر ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله في حق عليّ عليه السلام متواتر بين السن,ة والشيعة، و«حديث الغدير» أيضاً تواتر عن السنة والشيعة من خلال من رووا من الصحابة والتابعين، لكن هناك نقاشاً في دلالته من قبل أهل السنة وليس في أصل صدوره، فهوى صدر يقيناً في كلمات النبي صلى الله عليه وآله لا سيما في يوم الغدير. أما قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ فهو يؤكّد على أن النبي صلى الله عليه وآله نطق بخلافة عليّ عليه السلام من جهة التكليف الإلهي لا من جهة أنه ابن عمه، أما أنه تحقق أو لم يتحقق فهذا ليس فقط في خلافة علي بل في الإسلام كله... قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1]، فلم يتحقق الإسلام كله، ولم يؤمن كل الناس بالنبي، هذا فضلاً عن أن النبي صلى الله عليه وآله لم يطلق الروايات في حق الإمام علي عليه السلام على نحو النبوءات لنقول

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

إنها تحققت أم تتحقق، بل كان يثبت حقاً لصاحب حق ومن موقع الأهلية والكفاءة والأرجحية، فعلى صاحبك أن يعيد النظر في ثقافته وفهمه للأشياء.

**س ١٨: يحاول بعض الباحثين فهم النصوص الواردة حول إمامة علي عليه السلام بأنها لا تعني الإمامة السياسية وإنما تعني الإمامة الفكرية، فما هو تعليقكم على ذلك؟**

ج: إن للنبي في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[١]، شخصية الداعية، وله أيضاً شخصية الرسول وشخصية المبشِّر.. ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٢] ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[٣] وهي شخصية الإضاءة الفكرية والإضاءة الروحية. وهناك شخصية الحاكمية وهذه هي الشخصية السياسية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي تتجلى في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[٤]، في كل المجالات ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أولست ولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى ثم قال: «من كنت مولاه» أي من كنت أولى به من نفسه «فعليٌ مولاه»، أي أولى به من نفسه، وهذه الكلمات وردت في روايات نقلها السنّة والشيعة ومن طرق عديدة كثيرة. ولقد جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ

---

(١) سورة الغاشية، الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1]، حيث جاء في التفسير أنها نزلت في مسألة ولاية علي عليه السلام، وبعد أن عيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً إماماً بأمر من الله نزلت الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

إذاً فالإمامة التي نعتقد بها هي إمامة فكرية وروحية وسياسية في كل المجالات، لأن عصمته عليه السلام تعني أن فكره حق، وأن حكمه هو الحق وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار».

**س ١٩: هل إن تعيين الإمام علي عليه السلام للخلافة من قبل النبي في «غدير خم» كان أمراً متغيراً أو ثابتاً، أي هل إن تعيين الإمام قام على أمر ثابت أو كان يمكن أن تكون الخلافة لأي شخص آخر كأمر متغير؟**

ج: عندما يثبت لدينا أن علياً عليه السلام نصبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله في قوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فهو أمر ثابت، وليس متغيراً، لأن القضية ليست مجرد ترشيح أو مجرد أمر ينطلق من ظروف آنية، حتى إذا تبدلت تبدل الأمر والحكم، بل هي بحسب ما عندنا من أدلة اختيار الله له؛ ولسي ذلك إلا من جهة أن الله قد رأى فيه الكفاءة لذلك، وأراد للنبي أن يؤكد ذلك. فالمسألة هي من المسائل الثابتة بحسب طبيعتها وفي الدليل عليها وهي ثابتة عندنا بثبات الحق. لكن المسلمين عندما اختلفوا في ذلك أصبحت المسألة مثار جدل.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

**س ٢٠: ما هي الدروس المستفادة من «بيعة الغدير» وماذا يفيدنا الغدير في وقتنا الحاضر؟**

ج: الدرس الذي نستفيده هو الإنطلاق من الفكر الذي تعيش القيادة مفردات قيادتها بوحيٍ منه في عقلها وروحها وحركتها وأن تجسد الإسلام كلها، وأن ننطلق من فكرة تقديم الأفضل في موقع القيادة، وأن نعيش في داخل شخصية النبي محمد ﷺ عندما واجه التحديات السلبية التي من الممكن أن توجه إليه في ولاية الإمام علي عليه السلام لأنه ابن عمه وصهره، فلم تأخذه في الله لومة لائم أمام الحق، وفي داخل شخصية الإمام علي عليه السلام في المستوى المميز الذي تمثلت به حياته في كل القضايا الشائكة التي عاشت في كل واقعة قبل الحكم وبعده.

**س ٢١: هل هناك من لزوم للبيعة بعد النطق بالشهادتين لمن يعتنق الإسلام كما نشاهده لدى بعض الطوائف الإسلامية وكذلك بعض التنظيمات الإسلامية في أفريقيا حيث يستندون إلى البيعة أو البيعات التي حصلت للنبي ﷺ في عصر الرسالة فهم يتقدمون بالبيعة لعلماء الطوائف؟**

ج: البيعة ليست شرطاً في الإسلام فمن قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» كان مسلماً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولكن النبي ﷺ كان يأخذ البيعة ليؤكد للمسلمين إلتزامهم العملي به، فالنبي هو نبي أولاً وهو قائدٌ ثانياً وهو حاكم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ

أَنفُسِهِمْ﴾[1]. وعلى ضوء هذا فإن البيعة تعني الإلتزام بالقيادة التي قد تزيد الإنسان إحساساً بالمسؤولية، ولهذا كان النبي ﷺ يأخذ البيعة من كل من أسلم من النساء ومن الرجال ليؤكد التزامهم، وليحتج عليهم بالتزامهم من خلال البيعة كما يحتج عليهم من خلال إسلامهم، فللنبيّ شخصيتان: شخصية الرسول وشخصية القائد، وشخصية الرسول تتقبل الشهادتين وشخصية القائد تتقبل البيعة ولذلك فالبيعة للقيادة، فإذا كانت هناك قيادة إسلامية فالبيعة تؤكد التزام الأمة بهذه القيادة.

**س ٢٢: في إطار علم علي عليه السلام نرى أنه تحرك في خطين طرح علماً لعامة الناس، وللخاصة من أصحابه كـ«عمار» و«أبي ذر»، و«كميل» وغيرهم علماً آخر. حول النقطة الثانية ما هي توجيهاتكم حول التربية الخاصة؟**

ج: من الطبيعي بأن كل عالم يعطي بحسب ما يحتاج الجوّ العام في خطوطه العامة وفي الخطوط التفصيلية التي يتحملها المستوى الثقافي العام للناس، وهناك أشخاص بلغوا مستوى جيداً من العلم والثقافة فلا بدّ أن يكون عطاؤه لهم أكثر وأعمق وأدق من عطائه لأولئك، كمعلم الثانوية الذي يعطي الطلاب غير ما يعطيه معلم الجامعة وهذا شيء طبيعي لأن هؤلاء لهم مستوى وأولئك هلهم مستوى آخر، ولكن قد لا يكون الحديث عن اختلاف في العلم دقيقاً، بل هو اختلاف في المستوى وبعض المفردات والله العالم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

**س ٢٣: لقد سمعت بعض الخطباء يقولون: «لولا علي لما خُلق رسول الله» أليس هذا كفراً؟**

ج: هذا كلام غير مفهوم، لأن علياً كما نعلم هو تلميذ رسول الله، وعلي تربية رسول الله ﷺ، والنبي هو سيد ولد آدم بما فيهم علي عليه السلام. لذلك فبعض الناس يغالون في أحاديثهم وعليٌّ يرفض ذلك كله. اقرأوا «نهج البلاغة» وسوف تعرفون كيف يعظّم علي رسول الله. اقرأوا كيف كان علي يتحدث عن شجاعة رسول الله: «كنّا إذا اشتدّ البأس لذنا برسول الله ولم يكن أحد أقرب إلى العدو منه». ولذلك فمشكلة الكثيرين أنهم لا يعرفون عظمة رسول الله.

إن رسول الله ﷺ هو الأصل وهو القاعدة وهو المنطلق وهو الأستاذ وهو المربي، ومن عظمته أنه ربّى علياً فكانت شخصيته من صنع رسول الله، وكل ما عند علي هو من روح رسول الله ومن فكره وعلمه... وهذا ما عبر عنه عليه السلام بقوله: «علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب».

**س ٢٤: يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ويقال في تفسير هذه الآية أنها تهديد لرسول الله من ربّه لكي يبلّغ الناس أن الإمام علي عليه السلام هو الخليفة من بعده، ولربما يسمع إنسان هذا التفسير فتحدثه نفسه أن الرسول قد أمر بهذا التبليغ من قبل، ولكنه هو نفسه قد سكت عن هذا التبليغ وهذا ينافي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾؟**

ج: هذا ليس تهديداً ولكن الله أراد أن يبين بأن هذه المسألة تبلغ من الأهمية بحيث إنها لو لم تحصل لسقطت الرسالة، لأن عملية القيادة مربوطة بحركة الرسالة بالإتجاه الصحيح؛ فهي لسيت خطاباً موجهاً إلى النبي بمعنى أنه لم يبلغ الرسالة، بل إن الله يريد أن يقول له: بلغ ما أنزل إليك من ربك في هذه المسألة التي تمثل العنصر الحيوي الأساس الذي لولاه لضاعت الرسالة لأن الرسالة تحتاج إلى من يتعقبها ويرعاها في الاتجاه الصحيح.

**س ٢٥: لماذا لم يرد الرسول ﷺ أن يبلغ الولاية لعلي عليه السلام كما نفهم من الآية «وإن لم تفعل»، علماً أن في إبلاغه إكمالاً للدين وإتماماً للنعمة؟**

ج: من قال إنه لم يرد ذلك وقد أمره الله تعالى به؟! ولكن الله عزّ وجلّ بين له في الآية المذكورة أن هناك مشاكل قد تحدث فتعترض سبيل إبلاغه بأمر الولاية ولكنه سيعصمه منها، فليس معنى ذلك أن النبي ﷺ كان ممتنعاً وأن الله تعالى هدده بعدم التبليغ، كما قد يفهم البعض ذلك خطأ.

**س ٢٦: الإستدلال بحديث الغدير على ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام يتوقف على صحة الحديث سنداً والإجماع عليه، فهل يتفق أهل السنة على ذلك؟ وهل هناك تشكيك من أحد في سنده؟**

ج: عندما ندرس كتب الحديث فإننا نجد أن هناك إجماعاً من الشيعة، وشهرة لدى السنة حول حديث الغدير، بل أن بعض أهل

السنّة يعده متواتراً، لهذا فإن سند حديث الغدير ثابت لا شك فيه. وإذا كان هناك بعض المناقشة فهو في بعض الكلمات مثل: «اللهم اخذل من خذله وانصر من نصره»، حيث يقول بها بعض الرواة في الوقت الذي لا يصححها رواة آخرون. ومن المضحك المبكي أن كثيراً من الناس ينسبون إلى أنني أشكك في سند الغدير لأنهم قرأوا بعض كلماتي في كتاب «الندوة»[1] بأحقادهم ولم يقرأوها بتقواهم، فلقد كنت أقول إن السنة لم يشككوا في السند، وينبغي أن ندرس ذلك أيضاً، وكنت أقصد في ذلك هو هذا السؤال الذي وجه إليّ في هذه المسألة، إذ كان السائل يتساءل: كيف تقولون إن هناك ١٢٠ ألفاً شخص شهدوا الغدير ثم أصبحوا أربعة أو خمسة، فقلت إن حديث الغدير لا إشكال فيه وينبغي أن تدرس هذه الشبهة، إذ كيف أصبح الـ(١٢٠) ألفاً أربعة أو خمسة، ولكنهم ارجعوا اسم الإشارة إلى السند، ولم يرجعوه إلى موضوع البحث، ولم يقرأوا نفس الكتاب. ومهما يكن من أمر فإن سند الغدير لم يختلف في مشهور رجال الحديث من المسلمين، وإنما كان الجدال حول تفسير كلمة «المولى».

**س٢٧: في يوم الغدير يحتفل المسلمون الشيعة، بينما نجد المسلمين السنة لا يحتفلون به بل لا يلمحون حتى إلى الواقعة، ونحن نرى أن الشيعة يحبون «الإمامة» وأهل السنة يحبون «الخلافة» وهذا**

---

(١) كتاب الندوة هو سلسلة ندوات الحوار الاسبوعية التي يقيمها سماحة السيد بدمشق، وهو يحتوي على محاضرات، ومسائل في العقيدة والتربية والفقه والسيرة، وقد صدر منها - عن دار الملاك - حتى الآن ثماني مجلدات من القطع الكبير.

الموضوع يمتد إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ولم نجد أي فريق يقترب من الآخر بسبب ذلك. فكيف تستطيع المذاهب المتفرقة أن توحد ليعيش المسلمون بحيث يحب بعضهم بعضاً، خاصة وأن المشكل الأكبر اليوم هو أنه لا الخلافة للسنة ولا الإمام للشيعة، فعلام نتحدث عن الغدير ولا نتحدّث عن الوحدة؟

ج: منذ ٥٠ سنة ونحن ندعو للوحدة الإسلامية انقياداً واتباعاً لنصوص القرآن وأحاديث الرسول والأئمة عليهم السلام، ولكن المشكلة هي أن الوحدة الإسلامية ـ بحسب الواقع ـ لا تنطلق من قاعدة إسلامية ثابتة، بمعنى أن يبحث المسلمون في خلافاتهم بطريقة علمية موضوعية في المواقع الثقافية ذات الإهتمام بمثل هذا الأمر، لا في المواقع الشعبية التي غالباً ما تطرح المسألة في إطارها العاطفي البعيد عن الموضوعية، وهنا نقول: لا بد من أن تتحرك مسألة الوحدة من ذهنية علمية موضوعية، لأن بقاء هذه العناصر التي تثير الخلافات بين المسلمين تكون كالدمامل التي قد تتفجر في أكثر من موقع.

لذلك فعلى العلماء والمثقفين أن يدرسوا هذه المسألة دراسة علمية، لأننا لا نشجع الخلاف بالطريقة الغوغائية، أو بالطريقة العصبية، أو بالطريقة الشعبية غير العلمية لأن الناس لا يستطيعون أن يبحثوا هذه الأمور بحسب المنهج الذي ركزه في كتابه في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[١]. ولكننا في الوقت نفسه عندما نختلف في بعض

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

القضايا وندعو المسلمين في خط الوحدة ـ إلى الحوار، نقول: إن هناك قضايا أساسية لا بد أن نلتقي عليها، فنحن مثلاً لا نختلف في توحيد الله ولا في نبوة رسول الله ولا في كتاب الله عزّ وجلّ، ولا في اليوم الآخر، ولا في أركان الإسلام العبادية ولا في أكثر المفاهيم الإسلامية، بل ولا نختلف في المصلحة الإسلامية العليا على المستوى السياسي والإقتصادي، فلماذا ندخل هذه المسألة بنحو تكون حاجزاً فيما بيننا؟

لقد جرب المسلمون الوحدة في الإختلاف والتنوع، فالسنة ليست واحدة، فالمعتزلة سنة، والأشاعرة سنة، والحنفية سنة، والشافعية والحنبلية والظاهرية كلها فرق سنية، ومع ذلك لا نجد هذا الحقد في هذا التعدد، والشيعة كذلك مختلفون باختلاف الإجتهادات، فبالإمكان ـ والحال هذه ـ أن نرتفع إلى درجة الوعي بأن نفتح على القضايا الكبرى معاً، لأن الإستكبار العالمي لا يريد رأس السنة وحدهم ولا رأس الشيعة وحدهم بل يريد رأس الإسلام كله.

**س٢٨: هل عهد في الديانات السابقة التمرد على النصوص الدينية كما حدث في التمرد على حديث الغدير الذي هو حديث ثابت وذو سند واضح الدلالة؟**

ج: قد لا تكون هناك تجربة مثل هذه التجربة في الديانات السابقة، وربما كان التمرد على النصوص في الديانات الأخرى من جهة تحريفها والتلاعب بها.

**س٢٩: لماذا تكرر في نصوص عديدة تشبيه الإمام علي عليه السلام بهارون عليه السلام؟ هل هذا من جهة النيابة وإتمام خط القيادة، أو من جهة تمرد الأتباع على قائدهم؟**

ج: بل إن المقصود هو قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾[1]. فلم يقصد النبي عدم اتباع الناس لهارون، ولذا قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي»[2]. فأنت ـ يا علي ـ لست نبياً ـ ولكنك وزير، والوزارة هنا تعني الخلافة.

**س٣٠: أنا من إخوانم من المذهب الحنفي أتساءل: إذا كان الإمام علي عليه السلام هو أحق بالخلافة، فلماذا لم ينهض من أجل هذا الحق، ألم يكن سكوته مخالفة؟**

ج: كان الإمام عليه السلام يقول: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة»[3]. فكان عليه السلام يريد أن يحافظ على وحدة المسلمين آنذاك، لأن أية حركة يقوم بها الإمام علي في ذلك الوقت كان يمكن أن تحدث اهتزازاً في الواقع الإسلامي، بل ربما تقضي على كيان الإسلام برمته، وهذا قوله عليه السلام: «فما راعني إلا انثيال الناس على فلان ـ ويقصد أبا بكر

(١) سورة طه، الآيات: ٢٩ - ٣٤.
(٢) بحار الأنوار، م. سابق، ج٢، ص٢٢٦، باب ٢٩، رواية ٣.
(٣) المصدر نفسه، من كلام له في ولاية عثمان.

ـ يبايعونه فأمسكت يدي حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زاح كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زال الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[1]. فالإمام علي عليه السلام سكت من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين.

**س ٣١: في أحد كتبكم ذكرتم أن الإمام علي عليه السلام هو شخص مثلنا، وهو يمكن أن يخطىء، فماذا تريدون بذلك؟**

ج: لم أقل ذلك، ولكنني ذكرت أن الإمام عليه السلام قال في بعض خطبه: «فلا تكفوا عن مشورة بحقّ أو مقالة بعدل، فإني لست ـ في نفسي ـ بفوق أن أخطىء إلا أن يكفي الله مني ذلك»، وهذا وارد في «نهج البلاغة». وقلت ـ معقباً على قوله عليه السلام ـ: وهو فوق أن يخطىء لأنه معصوم كما نعتقد، ولكنه أراد أن يشجع الناس على أن يتابعوا تجربته في الحكم، وهي التجربة التي لا خطأ فيها، حتى يتعلموا نقد من يأتي من بعده ممن لا يكون معصوماً، وإلا فنحن نعتقد أن علي بن أبي طالب عليه السلام معصومٌ بكله.

**س ٣٢: الإمام علي عليه السلام كان صديقاً وصاحباً لأهل العلم والمعرفة، وكان خصماً لأهل الجهل والهمج الرعاع حاربهم بسيفه،**

---

(١) نهج البلاغة، من خطبته المعروفة بالشقشقية.

**أما أنت فتقول دائماً حاورهم و﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]؟**

ج: ومَن مِثْل علي كرجل حوار؟. إن علياً عليه السلام لم يحارب الخوارج لأنهم كانوا جاهلين، بل حاربهم لأنهم أساءوا للنظام عندما قتلوا «خباب» وزوجته وقطعوا طريق المسلمين، ثم قال لنا بعد ذلك ـ كما في «نهج البلاغة» ـ: «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فإنه ليس من طب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه». فلقد دخل علي في حوار مع الخوارج حتى أنه ناقش كل طروحاتهم، وكان يقول لهم إذا كنت قد أخطأت ـ وهو فوق الخطأ ـ فلِمَ تضلّلون أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولماذا تحاربون الأمة كلها؟ فأي حواريّ يمكن أن يصل إلى هذا المستوى من الحوار؟ إن عظمة علي عليه السلام هي أنه كان الحواري الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان عظمته أنه فتح عقله لرعاية الإسلام، وفتح قلبه لرعاية المسلمين، لكن مشكلة الكثيرين من الناس أنهم ما زالوا يعتبرون الإمام علياً عليه السلام ضراب سيف وطعان رمحٍ وأنه يقدُّ الفارس نصفين، وهو يقول في كلماته: «والله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أرجو أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا إلى ضوئي وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها». فعليّ لم يعش شهوة الحرب، ولكنه كان يعيش الرغبة بنشر الوعي، والهداية للضالين عن الطريق، ولذلك كانت حربه حرب ضغط من أجل أن تأتي الناس إليه، أي إلى الإسلام الذي يمثله. فافهموا علياً جيداً لأن

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

الكثيرين لا يفهمون عليّاً، ولعل الكثير من مجتمعات عليّ الآن هي مجتمعاته غداً، أليست الكثير من الأسئلة التي تقدم لمن يحمل بعض علم عليّ هي من قبيل: كم شعرة في رأسي؟![1]

**س ٣٣: قلتم إن الذين يلتزمون علياً في خط الولاية لم يتعلموا من علي عليه السلام؟**

ج: كنت أتحدّث عن الذين ينبغي أن يتعلموا من علي عليه السلام حجم الآفاق التي كان يعيشها ولم يتعلموا ذلك منه، لأن المشكلة هي أنك ترى الآفاق الضيقة التي يعيشها بعض الناس الذين يتحركون من خلال العصبيات والعقد النفسية والإجتماعية وما إلى ذلك، في حين أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يناقش الذين كانوا يتحدّثون عنه بالضلال الواقعي، فلقد ناقش الخوارج وناقش طلحة والزبير، فالإمام عليه السلام عندما كان يختلف معه أحد بفكرة ما، وكان يعرف أن الفكرة باطلة، كان يقف ليناقشه ولذلك نقول: ليس من حقك ـ لمجرد اختلافك مع شخص ما بفكرة ما ـ أن تزندقه وتكفره وتضلله، فهذا هو شأن الضعفاء والمعقدين والمتعصبين، وإلا فأي منا حدثت معه مشكلة كمشكلة الخوارج مع علي؟ وأي منّا كانت له مشكلة مثل مشكلة علي بن أبي طالب عليه السلام مع أبي بكر وعمر وعثمان ومع

---

(١) إشارة إلى أن علياً عندما كان يقول: «هو على فراش الموت: سلوني قبل أن تفتقدوني» انبرى له شخص ليسأله: «كم شعرة في رأسي؟»، وهذا يشير - بشكل وآخر - إلى أن كثيراً في القيادات تحاول أن تأخذ بيد الأمة في خط الوعي، ولكن الكثيرين لا يعيشون هذه الروحية، ولا ينتهزون فرصة وجودهم بين هذه القيادات.

طلحة والزبير ومع معاوية؟ ومع ذلك فإنك تجد علياً عليه السلام واسع العقل منفتح الآفاق يحاور بهدوء ويتكلم بعقلانية وموضوعية... فكم عندنا من أمثال علي عليه السلام؟ ألا ترون أننا لمجرد أن أحداً يختلف معنا ببعض المسائل نخرجه من الإسلام؟! فالمقصود من الكلام هو أن نتعلم من علي عليه السلام الإسلام في رحابته وسعته.

**س ٣٤: قول النبي صلى الله عليه وآله: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».. هل هو خاص بعليّ عليه السلام أم ينسحب على الرسول صلى الله عليه وآله وباقي الأنبياء والأئمة أيضاً؟**

ج: علي هو رمز للإسلام، وعندما يكون القول موجهاً إليه: «لا يحبك إلا مؤمن». فبلحاظ عنوانه الرمزي للإسلام ـ فباعتبار أن المؤمن يتحرك ليحب بعقله وقلبه وحياته من يجسد الإيمان خير وأروع وأكمل تجسيد، فكل من يجسد الإيمان يكون هذا الحب متعلقاً به.

**س ٣٥: نرى أن الإمام علياً عليه السلام يتعرض للسلطة بأسلوبين: أسلوب يرى فيه أن السلطة أهون من نعله البالي، وأسلوب يتحسر فيه على فوات السلطة، وأن محله منها محل القطب من الرحى ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، فما هو تفسير كم لهذين الأسلوبين؟**

ج: هو أسلوب واحد ذي شقين، ففي الأول يخاطب ابن عباس بقوله: «يا بن عباس أترى لهذه النعل ـ وكان يخصفها لأنها بالية ـ إنها أعظم من أمرتكم إلا أن أقيم حقاً وأدفع باطلاً»[1]. وقال أيضاً: «لولا

(١) نهج البلاغة، من كلام له يبين فيه سبب طلبه للحكم.

حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز». فهي - أي السلطة - كالنعل البالي عندما تكون ذاتاً، وهي كالقطب من الرحى عندما تكون حقاً.

**س ٣٦: يقول بعض علماء السنة: حتى لو سلمنا معكم - أيها الشيعة - بأن النبي قد نصب الإمام علياً في يوم الغدير، إلا أن بيعة الإمام للخلفاء السابقين تدل على شرعية خلافتهم، فلماذا تصرون دائماً على التمسك بالنص ولا تتجاوزونه إلى دلالة بيعة الإمام لمن سبقه؟ وإذا كان صاحب الحق بالخلافة قد تنازل عن حقه، فلماذا تصرون أنتم عليه؟**

ج: عندما ندرس تصريح الإمام علي عليه السلام في الخطبة الشقشقية وفي غيرها، كما في سؤال عمّا جرى من جدال في السقيفة: «وما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت منا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: فهلاّ احتججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم. قالوا: وما في هذا من الحجّة عليهم؟ فقال عليه السلام: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم. ثم قال عليه السلام: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله. فقال عليه السلام: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»[1].

---

(١) نهج البلاغة من كلام له عليه السلام، عندما انتهت إليه أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، رقم ٦٧.

فالإمام عليه السلام لم يسلّم إطلاقاً بشرعية ما جرى، وإذا ثبت أنه بايع فمدلول البيعة سياسي واقعي أكثر منه إثباتاً للشرعية.

**س ٣٧: يناقش المؤرخون جدلية الثورة والدولة في انطباقها على مرحلة ما بعد رسول الله بأنّ علياً ما كان له أن ينجح في إدارة الدولة وذلك باعترافه أن يكون وزيراً خير من أن يكون أميراً، فما هو رأيكم بذلك؟ وهل أراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مجرد إدانة بعض الصحابة بإثبات ولاية عليّ أو أنّه أراد أن يضع آلية للفرز المستقبلي للمخلص منهم ليبقى القلائل فقط مع عليّ عليه السلام؟**

ج: نحن نناقش هؤلاء في مسألة جدلية الثورة والدولة، فعندما ندرس فكر الإمام عليّ عليه السلام وإخلاصه، وندرس كيف أن شخصيته مطابقة لشخصية رسول الله بمعنى لو أن عليّاً استمر في مواصلة التجربة لاستمر أسلوب رسول الله في إدارة الدولة واستمرت أخلاقية رسول الله في التعامل، واستمر وعي الإسلام تماماً كما كان الأمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إننا عندما ندرس الذهنية الإدارية التي كان الإمام عليّ عليه السلام يتمتع بها من خلال عهده لـ«مالك الأشتر»[1] وندرس طريقته في محاسبة عماله، نعرف أن عليّاً لو تسلم الخلافة لنجح نجاحاً باهراً، ولوضع الأمة على المحجة البيضاء، لأنه لم تكن هناك

---

(١) هو عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر لما ولاّه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، نهج البلاغة، تحت رقم ٥٣.

أية مشاكل على مستوى الواقع الإسلامي، فلم نجد أن أحداً من المسلمين على مستوى الرأي العام الإسلامي آنذاك ناقش مسألة ولاية عليّ عليه السلام. فالذين ناقشوا ذلك هم بعض الصحابة الذين ذكرهم التأريخ، والذين كانت لهم مصلحة في مناقشتها، فلم يسمع أي صوت شعبي يرفض ولاية عليّ.

ولذلك نجد في سيرة الزهراء عليها السلام أنها تحدثت مع نساء المهاجرين والأنصار اللاتي جئن يعدنها في مرضها، عن حق عليّ عليه السلام بقولها: «أصبحت عائفة لدنياكن قالية لرجالكن» فنقلن النساء ذلك إلى رجالهن فقالوا لفاطمة عليها السلام «لو أن عليّاً تقدم إلينا قبل أن نبايع لكنا بايعناه»، الأمر الذي يعني أنه لم تكن هناك مشكلة في بيعة الإمام علي عليه السلام. فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يريد إدانة بعض الصحابة، بل أراد أن يركز الولاية في امتدادها في الواقع الإسلامي.

# فهرست

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

دار الملاك